كلمة
في اصلاح حرف العرب

لكاتبها

عبد الله بن هدى الايوبي

يتقدم بها الى قادة العرب خاصة ومستعملي حرفهم عامة

الطبعة الاولى

مطبعة المعارف نجيب كنيدر - حلب

مقدمة

لما كان الانسان في هذه الحياة يختلف بعضه عن بعض في كل شيء، كنت انا ممن يؤثرون الخدمة العامة على الخاصة فيأتونها ليكون نصيبهم اوفر ممن يؤثرون خدمة انفسهم على خدمة المحيط .

« واتعب خلق الله من زاد همه   وقصر عما تشتهي النفس نيله »

ولما كان النقص كثيراً في بعض انحاء هذه الحياة ويتفاوت عن بعضه كثيراً ويختلف كثيراً وكان في هذا الشرق اكثر منه في سائر الانحاء، رأيت ان اخدم الشرق في اساسه وهو هذا الحرف ايجابا للشرق وانصافا له من جهة وقياما بما يتوجب على الانسان قيامه من جهة اخرى .

ولقد كان لي ما اريده ان يكون كما ستقرأ في هذه الكلمة ايها الفاضل النبيل، وانما لا تهدأ النفس من روعها حتى تلمس الجد والتجدد في هذا الشرق بدلا من التمسك بما لا يفيد. ولكان اسهل علي ان اقول هاكم احرفي فاقرأوها بدلا من كلمة انجشمها لو لا خشية ان يقال دخول بلا استئذان وهذا ما لا ارضاه ، فارسلتها كلمة في هذا الشرق وانتظر صداها في كل انحائه لاجيب والسلام .

عبد الله هدى

الايوبي

تمهيد

تعلم القادة الكرام ، ما بلغ اليه الشرق من العظمة قديماً ، وما بلغت اليه العرب ، وبما بلغ كل منهما ما بلغه ، وبما رجع عما وصل اليه ، وتعلم كل قبيلة ما تقاسيه في سبيلها الى مثل ما خلقها الله احراراً ، وما تجهد الانفس في اعمالها لتعود كما كانت قديماً كباراً .

وتعلم القادة الكرام ، ما وصل اليه الغرب بجده وعزمه ، وما جعل له من القوه بعلمه ، ولان ساد الشرق اخيراً فبما اوصله العلم اليه ، ولذهاب الاخر فرقا مختلفة لاهية كما يعلم العالمون . واعلم ، بان البلاد التي حصنها اتحادها وسلاحها علمها ، لهي الجبهة المنيعة التي لا يطمع فيها الفاتحون ، واصحابها لهم الذين على عيشهم يغبطون ولهذا هو الامل الاكبر الذي تصبو اليه النفوس ، ولاصلاحي نعم هذا التصير .

وتعلم القادة ، بان نداءنا لاتفاقها على هذا الاصلاح ، ليس الا لما في الحرف من رابطة لا تقل عن عن الوحدة الاولى من جهة ولكي تصل كل امة تستعمله الى الثقافة التي تتطلبها بظرف غير بعيد من جهة اخرى.

وتعلم بان الاصلاح المفيد او الذي لا يفيد ، هو واحد قبل الاختبار ، ولا يفيدنا نداءنا شيئاً ، اذا لم تصغ الاذان لما نقوله ، وتتثبت القادة مما ندعيه ، وهذا كل ما اطلبه الان الى القادة الاحرار والى كل مستمع كريم

نقص الحرف الحاضر وخلله

فهذا حرف العرب ، وضع للغة العرب وحدها ، ولا لسنة العرب في الجاهلية ، ولاقلام العرب قبل الطباعة .

ونحن بعد الف سنة من حضارة العرب ، لفي حاجة الى اكثر من لغة العرب تطلباً للعلم ولهذا نحتاج الى اكثر من حرفهم الحاضر عملا بناموس النشؤ والتطور .

والسنتنا هي غير السنتهم في معرفة اللغة ، والحرف لغة هو طرف الشيء ولهذا نحتاج معه الى معرفة الطرف الاخر ايجابا للفظ في صيانة الكلم .

واقلام هذا العصر هي الطباعة مبعث الثقافة ، والحرف الحاضر لا يصلح او لا يسهل فيها استعماله كما يسهل على قلم الكاتب . ولا يقيد اللفظ بشكله فيها الا بعد العناء الشديد ، ونحن في حاجة ماسة الى ما يصلح ويسهل ويقيد الحرف بآن واحد .

فهذا النقص الظاهر في الحرف والخلل الكبير في شكله واصطلاحه هو باختصار الكلام الذي لا خوف فيه مضر للغة العرب ولكل لغة تستعمله على الاطرق وسد مانع من تقدم مستعمليه بالسرعة التي يتطلبها المتأخرون ، ولهذا هو الدافع الوحيد الذي الزمني العمل فيه منذ سنين طوال حتى وفق الله الى ما اقوله الان .

مقابلة ما بين هذا الاصلاح وما ذكر

اما اصلاحنا هذا فهو لكل امة تستعمل حرف العرب ولالسنة العرب الان صوناً للغة وللطباعة والاقلام بآن واحد ولا شواذ فيه على الاطلاق .

فهو لا حاجة معه ابداً الى اي حرف اخر في محاكاة الاصوات شرقية كانت او غربية ايجابا للعصر الحاضر ومقتضيات العلم ، ويمنع اللسان من الخطأ حتى ولو تعمد الانسان ذلك .

ويسهل في الطباعة استعماله لعدم تبدله شكلا من جهة ولقلة حروفه من جهة اخرى ، لانه لا يزيد عدداً عن اصل الحرف الا بما ضم اليه في تصوير ما خرج عن لغة العرب .

هذا قياساً على ما ذكر من الحرف الحاضر كما رأيت . واما هو من حيث ميزته وبعض صفاته فهذا مما ساذكره في محله فيما بعد وانما المهم الذي لا بد من ذكره الان ، هو انه حرف عربي قائم على اساس الحرف الحاضر لو لا انه اثمن واجمل واسهل ، وانه لا حاجة للطالب معه الى المرشد الا في تعلم الف بائه فقط . فمتى قرأ الطالب مثلا الف بائه قرأ بعدها ما اراد ان يقرأه فيه دون ان يحتاج الى استاذ او مرشد على الاطلاق . ومعنى هذا هو انه اذ استغرق الطالب الكبير او الصغير في حفظ حروفه اسبوعا واحداً او اثنين او يوما او يومين او شهراً على فرض التقدير ، فكأنما تعلم القراءة في هذه المدة الوجيزة قراءة صحيحة لا لحن فيها ابداً . وانما يحتاج الى الممارسة والاعتياد عليها فقط لكي يحسن السرعة فيها او يعتاد مسك القلم مثلا وهذا ما يرجع الى الطالب وذكائه ولتأثير العادة التي لا بد من اكتسابها في كل عمل يأتيه الانسان حتى في اخذ طعامه . ودفعاً للشك في الصدمة الاولى التي لا بد منها كما اخال . فانني اثبت ما اقوله بتعليم القراءة والاملاء لاي كان من الناس عربياً كان او اعجمياً بظرف لا يتجاوز الاسبوع الواحد او الاثنين . هذا اذا كان امياً لا يدرك شيئاً من القراءة او الاملاء ، واما اذا كان متعلما اويعرف الحرف الحاضر مثلا ، فبمجلس واحد لا اكثر يكون بعده مثلي فية لا ينقصه الا الممارسة ، والاعتياد عليه كما ذكر ، ولا اظنني بحاجة ما الى الاكثار بعد هذا الجزم لا سيما وقد رأينا تبدل كل شيء عن ذي قبل وخير الكلام ما قل ودل . فبلاد العرب او كل بلاد تستعمل حرف العرب يمكنها ان تقضي بهذا الاصلاح على الامية فيها دون ان تتكبد مشقة ما او مادة ما تذكر بظرف اكثره دون السنة الواحدة .

كيف ذلك ؟

فالاصلاح الذي يمكنك ان تفهمه المتعلم بساعة واحدة مثلا ، يمكنك

ان تلقي به محاضرة للمآت من المعلمين ، وهؤلاء بدورهم يمكنهم ان يعلموا به الالوف من الاميين ، دون ان يجهد الاميون انفسهم الا الى معرفة اربعين شكلا او حرفاً او عدداً مثلا ليس معه هجاء او بعده اصطلاح . وهذا كل ما في علم القراءة والكتابة مما يجب فهمه وهو منتهى التسهيل في طلب التعلم والواسطة الوحيدة لاستئصال الامية من البلاد .

على ان هذا الاصلاح او المشروع ليس هو في مصلحة البلاد من حيث نهضتها وحسب ، بل هو في مصلحة اصحابها من حيث هم ومن حيث هي على الاطلاق وخدمة كبرى للانسان في تسهيل قلمه ، اسوة بغيره من لوازمه على انه افضلها وانفعها ، وانه وحده مبعث الرقي .

فالقلم هذا وان تطور نوعا بتطور الانسان عن ذي قبل وانما تطوره هذا او تحسنه لم يكن شيئاً يذكر نسبة الى تحسن غيره من سائر لوازم الانسان كما ترى ، فالحرف الحاضر هذا الذي صحب الانسان منذ آلاف السنين ما زال ناقصاً او زائداً من حيث هو لخلل في اصله او وضعه ، وما زال هو هو من حيث صعوبة فهمه لو لا بعض تبديل او تحسين في شكله وايجاد المطبعة له في نهضة الغرب اخيرا .

على ان الانسان في معظم حاجاته ولوازمه ومقتضياته هو اليوم غيره في الامس ، فانظر اليه طائراً او مسلحاً مثلا ، بل انظر اليه في كل اغراضه في حياته التي تعرفها تجده في كل منها متقدما عن ذي قبل الا في تسهيل القلم او قل تسهيل علم القراءة لا سيما في هذا الشرق . في حين انه كان يجب ان يكون علم القراءة او القلم هذا منتشراً في العالم كانتشار لذاته بلا تفريق ، لان القراءة او الكتابة هي الحفة الثانية التي يجب على كل انسان معرفتها . والحائل في كل ذلك هو هذا الحرف او القلم الذي نعمل لتسهيله وتعزيزه ونتطرق اليه في هذا الكلام . فما هي الاسباب يا ترى ؟

فلما هذه الصعوبة في تعلم الحرف يا ترى ؟ على ان الحرف محدود كما هو معروف لو لم يكن هنالك من علة في الحرف او في الانسان بوقت واحد ولربما كانت علل او اسباب كثيرة ايها الاديب ، ذاهبة ما بين الحرف

واصحابه الاولين والآخرين .

ولو اردنا معرفة هذه الاسباب كلها او بعضها وجب علينا البحث في كل نواحي الحرف اولا ومعرفة الانسان الذي وضعه قبل معرفة الانسان الذي اهمله او عجز عن اصلاحه . ولو بحثنا عن هذه الاسباب كلها بحثاً دقيقاً كما يجب ، لوجدنا الاسباب اربعة لا اكثر منقسمة ما بين الحرف واصحابه الواضعين منهم والآخذين عنهم ، ولهذه الاسباب او العلل التي نشير اليها هي التي توجب علينا استئصال ما نستطيعه منها ايها الاديب وهي التي نتطرق اليها في هذا الكلام .

فما هذه الاسباب او العلل يا ترى ؟ فالجواب على ذلك هي علة الحرف الحاضر من حيث تنسيقه واصطلاحه ، وعلة واضعه الاول من حيث علمه وعصره وغرضه ، وعلة مستعمله الان من حيث طبيعته التي فطر عليها وعلة العادة في الانسان لاختفاء ما صعب في الحرف بتأثيرها الكبير .

والعلة الكبيرة في هذه العلل هي علة الحرف التي نستطيع ازالتها وحدها بخلاف ما رأيت من العلل وانما بازالتها ، كأنما ازلت العلل جميعها لا علة الحرف وحسب وهذا ما سنصل اليه .

واما كيف حصلت هذه العلة الكبيرة فاجيب ، لتأخر الاول علما عن الاخير وتقدمه زمناً عليه جاء حرفه او وضعه مخلا وصعباً من جهة وقاعدة لمن بعده ضربت عليها عنه بتأثير العادة فيه .

او ادرك الاديب ما قصده ام نحتاج الى ايضاح اسهب مما ذكر ؟ فعلى كل لا بد لي من ايضاح بعض صفات الانسان من هذه الناحية ليتصوره الاديب في طبيعتيه الفطرية والاكتسابية فاقول :

كما ان الانسان يختلف بعضه عن بعض خلقاً وخلقاً وطبعاً ، فكذلك هو يمتاز بعضه عن بعض عقلا ورأيا ونبوغا وفي كل الصفات . وكما انه يختلف بعضه عن بعض باختلاف الزمان والمكان ، فكذلك اعماله تختلف بعضها عن بعض باختلاف الانسان نفسه او اختلاف الزمان .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، كما ان الانسان ينفر مما صعب عليه بحكم الطبع الذي فطر عليه ، فكذلك هو يجنح الى كل ما سهل عليه بحكم الطبع نفسه . وكما انه يصعب عليه امتلاك ما صعب من العادات او الاعمال فكذلك هو يصعب عليه ترك ما اعتاد عليه منها مهما صعب .

ومن جهة ثالثة : ان كل ما سهل او صعب على الانسان بحكم الطبع الفطري لهو الذي لا يمكن استأصاله منه ابداً كنفور الانسان من الصعب وجنوحه الى السهل مثلا ، وبعكس ذلك هو في كل ما اعتاد عليه من الاعمال او اكتسبه من الصفات، لما فرقت طبيعتيه عن بعضهما بعضاً كما يعلم ذلك الفاضل الاديب . فقد ادرك القارئ الكريم ولا شك علة هذا الحرف واسبابها سواء كانت هذه الموجودة في الحرف او في صاحبه الانسان منذ القدم ، وادرك الطبائع الفطرية التي تحول بينه وبين ما يستصعبه من الاعمال مثلا كما ادرك ولا شك ايضاً من جهة ثانية تأثير الطبائع الاكتسابية فيه ، هذه الطبائع والعادات التي يصعب تركها عليه كثيراً . فكأنما الانسان من هذه الناحية ناحية الطبائع التي فطر عليها او التي اعتاد على اتيانها ، مثلا نافر مما صعب عليه ، وآلف لما اعتاده بآن واحد . ولهذه هي الاسباب التي صعب معها تعلم الحرف او اصلاحه كما رأيت . وهذا مما سنذكره بالتفصيل فيما بعد سواء كان فيما يتعلق بتأثير العادات على الانسان او بتأثير الطبائع على اختلافها .

فالذي اريده الان من هذا الكلام ، هو ان الاعمال والدساتير التي استقل الفرد بوضعها قديماً دون ان تمحصها الجماعة وتدرسها درساً دقيقاً كما هي الحالة اليوم في وضع دساتير الاعمال ، هي مطعون فيها ولا عبرة في ان يقرها الجمهور بعد ان يألفها ويقادها زمناً طويلا ، وذلك لان العادة من شأنها ان تخفي كثيراً من عيوب المقاد عليه بعد تمكنها من الانسان لاسيما اذا كان العمل دقيقاً جداً كما هي الحالة في الحرف الذي نود نقده . فكل دستور او عمل مخل هو قابل للتحسين والاصلاح ، الا الذي تعتاد عليه كثيراً فانك قلما تشعر بنقصه فتصلحه وانما تشعر بشواذه او صعبه فتألفه حتى يشاء الله

ولهذه هي التقاليد القديمة التي يحتفظ الانسان بها خلفاً عن سلف بتأثير العادة فيه لا سيما الانسان المتأخر .

فالحرف الحاضر هذا ما جاء مخلا او عليلا وعاش عليلا زمناً طويلا الا لان واضعه لم يراع الناحية التي نود مراعاتها نحن اليوم او انه لم يستطع ذلك ولهذا جاء حرفه صعباً من هذه الناحية التي نشكو منها وهو كل ما هنالك .

حري بالانسان بعد ان عرف عن علة الحرف ما عرفه ان يبذل كل ما اوتيه من علم وقوة في سبيل تعزيزه وتسهيله ليعم العلم باصلاحه بدلا من ان يبقى عثرة في سبيلنا او عقبة يحتاج معها الى الجد والصبر الطويل .

فالقلم لا يحتاج الى تعريف ما لنبين فوائده الكبرى الى القاريء الكريم فنحثه على اصلاحه وتسهيله ليعم العلم مثلا واما اذا شاء ذلك فلينظر الى ما اوجده الانسان الاخير من المخترعات التي بلغ بها بعض غاياته هذه التي كان لا يحلم فيها الاول ابداً ، ولما حلم بها الاخير هذا ايضاً لو لم تنتشر الطباعة اخيراً ويعم العلم الاقطار التي انبعثت منها .

وذلك لان الادمغة الكبيرة التي لا تعرف الا بالاحتكاك هي مدفونة في اصحابها ولا تزال كذلك من حيث لا يشعر بها حتى يظهرها انتشار القلم كما هي الحالة الراهنة في الغرب . ولكي يدرك كل منا ايضاً فوائد القلم التي لا يستطيع تقديرها الا بضدها على رأي الشاعر ليفرض نفسه امياً مثلا بين اميين لا كتب لديهم ولا اقلام ولا ما يقوم مقامها في جميع اعمالهم ومقتضياتهم ، يدرك عندها مقدار فوائده الكبرى وفراغه الكبير الذي لا يسد . ولهذه الحكمة من الآية الاولى التي خوطب بها سيد العرب « اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » فلهذا جدير بالانسان ان يأتي كل ما اوتيه من علم وقوة في سبيل تعزيزه وتسهيله ليعم العلم بانتشاره ويصل كل انسان بسرعة وراحة الى الغاية التي يرمي اليها ، خدمة لمصلحة العامة ، لانه هو السبيل الوحيد الى ذلك .

واما ان الحرف تطور وتقلب ووصل الى الغاية القصوى اوحد الكمال كما يظنه البعض في حرف اللاتين مثلا ، فهذا غير الواقع . فالحرف ما زال هو هو منذ آلاف السنين لو لا تبدله شكلا والعبرة كلها في روحه لا في شكله كما سترى ، وانما مثل حرف اللاتين من حرف العرب من حيث السرعة في التعلم والراحة في السير، كمثل الراكب عجلة من الراكب جملا ، غير انهما كليهما ما زال مثقلا وكليهما في طريق غير مستقيم . بين ان الانسان في حاجة الى اكثر من ذلك سرعة وراحة توصلا الى غايته المطلوبة ، لا سيما نحن اصحاب هذا الحرف المتأخرين كثيراً عن مستعملي الحرف الآخر في كل ما نحتاجه . فاننا لفي حاجة الى القطار السريع في سيرنا بدلا من ركوب الجمل هذا لاجتياز هذه المراحل البعيدة المدى التي هي بيننا وبين السابقين اذا لم نقل نحتاج الى المنطاد في ذلك لنستطيع ان نعادلهم في اعمالهم . ومن العبث او المحال ادراك السابقين وكل منا على ما هو عليه في سيره ، وهذا هو المستحيل الذي لا نستطيع انكاره اذا قيل ليس هنالك من مستحيل .

فالانسان لا يزال يسعى الى الكمال وانتقاء الاصلح طالما هو يتقدم الى الامام وشعوره بذلك دليل ارتقائه . كما ان عكس ذلك دليل جموده وتأخره . وهذا كل ما اريد قوله في الحرف الذي هو الزم الاشياء الينا كما رأيت والذي لم يتقدم بتقدم كل ما يحيط بنا من لوازم الانسان مع وجوب ذلك اولا لانه افضلها على الاطلاق والذي يجدر بهذا الشرق وحده اصلاحه دون غيره لانه مصدره الاول كما كان مصدر كل نور قديماً .

كيف يجب أن يكون القلم او الحرف

يجب ان يكون القلم من الانسان في ضبط اللغة ، كاللسان من الانسان في كل ما يريد قوله الانسان او كل ما يستطيع لفظه اللسان ، لانه هو النائب الوحيد عنه في حكاية الاصوات والرسول الامين بينه وبين السمع والبصر . وان يكون كذلك طائعاً في كل ما يلقيه الكاتب عليه سواء كان من لغته او خلافها ، وقديراً على كل ما يريده الانسان منه في استعماله .

على ان يكون حرفه مع كل ذلك لا بالكثير ولا بالقليل ولا دون اللفظ ولا اكثر منه ، وخالياً بذات الوقت من كل تعقيد وتشويش . وذلك ايجابا لطبيعة الانسان في كل ما يبتغيه من جهة ولمقتضياته بعد ان اختلط شرقيه بغربيه وشاع العلم بين قاصيه ودانيه .

فالعرب مثلا او مستعملو حرفهم هم باشد الحاجة الى ما سطر بغير حرفهم او لغتهم من العلم ، رغم انهم وهم باشد الحاجة ايضاً الى تعزيز لغاتهم بتقييد حرفهم لا سيما العربية هذه المعربة ، والقارئ الكريم يعلم بان الحرف الحاضر ليس على شيء مما ذكر .

هذا من حيث ضبطه للفظ وتقييده له على اختلافه شرقياً كان او غربياً ، واما من حيث تعلمه فيجب ان يكون اسهل علم يأتيه الانسان في حياته على الاطلاق كتعلم الاعداد مثلا او كتعلم الجمع من اعمال الحساب البسيط ، لدرجة لا يكاد يتبينه الانسان الا ويرغب في اخذه ، وذلك لان احب علم اليك ما سهل فهمه عليك .

فالاجنبي عنه او الذي يريد دراسته او اختباره مثلا ، يجب الا يكاد يعرف ياءه بعد الفه الا وهو عالم به دون ان يشعر بنفسه . او الامي الذي ندم على ما فاته مثلا يجب الا يندم على شيء اضاعه بعد اسبوع من التفتيش عليه ليقتدي به كل امي في طلب ضالته المنشودة .

واما من حيث شكله فيجب ان يكون سهلا على المطبعة والقلم وجميلا فيهما ومتناسبه لبعضه حجما ايضا ، على ان الحرف الذي يقوم على اساس ما قبله يجب أن يتقيد به شكلا حفظاً لخزانة الادب كما لا يخفى ، وانما يجب الا يضل البصر بشيء من الحركة او الاشارة والا تغل يد الكاتب في خط تروح وتجيء كما هي الحالة في حرف العرب الحاضر .

ومن حيث هو بالاجمال في كل ما ذكر يجب ان يكون المثل الاعلى في كل نواحيه ، حيث لا يشعر معه مستعمله او الذي يريد استعماله الا بالنشئة بدلا من السآمة . حروف قليلة مرتبة تكيف اي لفظ كان بكل سهولة ودقة وخطة رشيدة منظمة لا تبدل فيها ولا تغير حيث لا يضل فيها قط ،

وسهولة في التعلم فريدة من نوعها حيث لا يفتقر متعلمه الى اكثر من تعلم الف بائه فقط وان يكون في كل ذلك حافظاً كبيراً للغات وخادما اميناً ومطيعاً لها .

فلو اراد الكاتب مثلا ان يتناول الجغرافية او التاريخ او يدرس الطب او الكيمياء او يتناول اي علم كان في اي لغة كانت ويكتب فيه ، او لو اراد الكاتب مثلا ان يجول في محيط كبلاد العرب بقصد اختبارها او الوقوف على لغاتها واختلافها عن بعضها لهجة مثلا ، او لو اراد جولة في الغرب او الشرق الاقصى مثلا في اي غاية ارادها ، فيجب ان يكون لديه من الحرف ما يكفيه في كل ما يريد قوله حتى اذا قرأ آخر ما كتبه في ذلك ، فكأنما هو الذي سمع الاصوات مهما كانت وعرف اصطلاح كل امة على كل شيء .

او لو اراد العربي مثلا تعلم اي لغة تستعمله كالفارسية او التركية اوغيرهما وجد ان لا حاجة له في ذلك الى استاذ ما يرشده في اتقان اللفظ ، بل من نفسه يتقنه كاصحابه لميزته من هذه الناحية عن كافة احرف العالم .

او لو اراد المحيط الواحد او الدولة الواحدة تعميمه فيها مثلا ، قد يمكنها ارجاع ما فسد من لغتها الى اصله مع توالي الايام عن هذا الطريق لا سيما العربية لما في العادة والملكة من التأثير على الانسان في لغته كما عرفنا ذلك في الجاهلية قبل الاسلام ، وكما هي الحالة الراهنة في البلاد الراقية الان هذه التي يكتب عالمها مثلها يقول رغم اختلاطه ببعضه كما نعلم ولا يخفى ما في ذلك من التسهيل والفوائد العظيمة التي لا تقدر .

ان ما قرأته هو هذا الاصلاح

هكذا يجب ان يكون الحرف لا سيما الحرف الذي يستعمله المغلوبون على امرهم الذين يتحفزون للنهضة بعض غفلتهم وبعد ان لقوا من الامر ما لقوا كمستعملي هذا الحرف الذين اتقدم اليهم بهذا الاصلاح .

ولحرفي هذا او اصلاحي الذي انقدم به الى القادة الكرام واولياء الامر هو ذات الحرف الذي اصفه بل ذات الثوب الذي حكته لهذا الشرق لغاية في النفس كما سيعلمون .

هذا الذي بدأت به منذ ان حطت الحرب اوزارها وتبدل وجه هذا الشرق ، يوم انصرفت الانفس الى اعمالها جادة في طلب استقلالها وانصرفت انا حينذاك الى العمل في الاساس قبل البناء والى تعبيد الطرق قبل السير والسباق مندفعاً بما اندفعوا به من الواجب حتى كان لهم ما ارادوا وكان لي ما اريد .

ولتجدن مع كل هذا من يخالفك في رأيك وينفض عليك عملك لا كرهاً في الاصلاح وانما لاختلاف الانسان عن الانسان رأيا في وجوب الاصلاح او عدمه او قل في شكل الاصلاح ، لا سيما وهذا الاصلاح الذي اذكره لهم هو اكثر مما يتصوره المصلحون ، هو اصلاح في تكوين الحرف اكثر مما هو في الشكل او التقييد ، فكأنما نقضت بعض تركيب الحرف الحاضر واصلحت خلله ، ومن ثم نسقته كما يجب ان يكون دون ان المس الشكل كثيرا . اصلحته كما يصلح المجدد الذي يزيد في قيمة الشيء تحسيناً فتزداد قيمته ، لا كما يصلح المصلح الذي يرجع الشيء الى اصله اذا كان الاصل غير قويم . فالسيارة اليوم مثلاً هي غيرها حين ظهرت الى حيز الوجود وكذلك كل عمل حديث قائم على اساس قديم هو اليوم خير منه في الامس ، الا هذا الحرف القديم القديم الذي ما زال هو هو من حيث تنسيقه او تركيبه المغلوط . فالمصلحون اكثرهم بل جميعهم لا يرون في اصلاح الحرف هذا الا تقييده لفظاً وتحديده شكلا كما هي الحالة في حرف اللاتين مثلا في حين ، ان حرف اللاتين ذاته هو في حاجة الاصلاح من هذه الناحية التي نريدها لانه والعربي هذا فرعان يجتمعان في الاصل الفينيقي القديم ولم يتغيرا تنسيقاً عن اصلهما قط ، رغم اننا نحن بحاجة الى حرف اسهل من حرف اللاتين نظراً لتأخرنا عن الغربيين كثيراً كما يعلم الاديب وهذا لا يكون الا باصلاح الحرف في تكوينه .

الدليل القاطع على صعوبة الحرف الحاضر

واي دليل لنا اعظم من الامية هذه المنتشرة في العالم منذ آلاف السنين على سوء تنسيق الحرف هذا او تشويش عرفانه او فهمه على الانسان مع حاجته الشديدة اليه ؟ لا دليل اعظم من هذا مهما قيل عن تأخر النهضات او تأخر الامم نسبة الى اهمية القلم ولزومه للانسان منذ القدم . وانما تركيبه المغلوط او عدم تنسيقه وتسهيله كان السبب الاوحد في ذلك مع امكان اصلاحه لا سيما العربي هذا الذي لم يدعم حتى في بنائه علاوة عما نطلب فيه .

اهمية الاصلاح في التكوين لا في الشكل والتقيد

على ان الكتابة قديماً في المدنية الاولى وان تقلبت ادواراً كثيرة اثر نشأتها وتبدل شكلها كثيرا ، غير ان العبرة كلها كانت في تبدلها من الرسم الى الهجاء او المقطع اكثر مما هي في شكلها كما سترى وهذا الاصلاح في تكوين الحرف لا في شكله كما جاء به المتأخرون .

فالفنيقيون الذين ينسب اليهم هذا الحرف الذي ما زلنا على تنسيقهم فيه هم لم ينجحوا في عملهم حينذاك الا بتفريق المقطع الواحد الى حرفين حيث تدانت حروفه بعد ان كانت تعد بالمئات الى هذا العدد الذي نعرفه ، وبتسهيلهم رسم الحرف ايضاً بدلا من التصوير من جهة ثانية . وانما لم يصل الفنيقيون بعملهم هذا الى حد الكمال الذي يتطلبه الانسان للاسباب التي ذكرت كما مر بك . وان من اخذه عنهم من الامم لم يتعدوا هذه الاصول التي وضعها الفنيقيون ، هذه الاصول التي نعمل لاصلاحها وتسهيلها ونمهد اليها في هذا الكلام .

واما ان الحرف هذا لم يسهل او ينسق كما يجب ان يكون مع مرور الاف السنين عليه فذلك لان الانسان مقيد بالزمان شأنه في كل اعماله من جهة ولاسباب اخري سنذكرها في محلها بعد ان نذكر الحرف في تطوره من الرسم الى الهجاء ومن المقاطع الى الاحرف ، ليقتنع القارئ الكريم

بوجوب اصلاحه ايضاً في الاساس طالما الاساس في حاجة الى الاصلاح .
فلنفتش اذاً عن الحرف في المدينة الاولى التي تطور فيها من الرمز الى الهجاء قبل ان يدركه الفنيقيون الذين شقوا المقطع منه الى حرفين وظللنا نحن والغربيون حيث انتهوا اليه منذ آلاف السنين فاقول :

المدينة الاولى في مصر وبابل وكلمة في الحرف

الانسان ظل زائل في هذه الحياة لو لم يخلد القلم ذكره في الارض كما يخلد الله روحه في السماء فهو لسانه الناطق الذي لا يموت بموته ومرآت عقله وعلمه حتى الابد . ولو قدر للانسان الاول استعماله كما هو اليوم وقدر لمن خلفه ان يشيد بناءه على اساسه ، لكان وجه الحياة اجمل مما نراه ، ولكان الانسان اعلى مرتبة واسمى خلقاً بلا ريب .

احرف الهجاء لهي الوحيدة التي يعتمد الانسان عليها في حياته وبعد مماته وفي كل ما يصبو اليه . رغم انها هي التي كادت تجمع له حياة الاولين والآخرين وتحيطه علماً بمعارفهم اجمعين وتجعل منه انساناً سعيداً كأنه عاش الدهر بكامله واحاط منه في كل شيء علما .

فالانسان في حياته القصيرة هذه لو لم يوفق الى احرف الهجاء منذالقديم لما تقدم في علمه او عقله شيئاً يذكر ولاستطعنا ان نقيسه ببعض الاحياء من هذه الناحية ، وانما استعانته بجهود سلفه وعلومهم على مابه من فطرة طبيعية الى ذلك ، هي التي مكنته من جمع ثروته العلمية العظيمة هذه ، وجعلت له هذه المرتبة الرفيعة في حياته . وهكذا لو لم يؤسس الاخير على بناء الاول لما تطور في حياته تطوراً يذكر ، ولما تطور الانسان الاخير هذا بسرعة نسبة الى سلفه ، لو لم ينتشر الحرف بانتشار الطباعة وتتغذى الافكار بعضها من بعض ، بانتشاره ، وهذا اكبر دليل على ان الحياة الفردية لا يمكنها التطور والارتقاء ، اذا لم تستمد من بعضها على توالي الايام ولا معين لها في ذلك كله الا بما تحفظه احرف الهجاء .

فالانسان باشد الحاجة الى بعضه في رأيه وبقدر ذلك تكون نتيجة اعماله وجهوده ويكون تطوره وارتقاءه وهذا مما لا ريب فيه والاساس في كل ذلك هي احرف الهجاء . خذ مثلا على ذلك من تقدم الانسان الحاضر وارتقائه في مخترعاته وعجزه من جهة ثانية عن اتيان ما اتاه الاولون في كثير من اعمالهم وذلك لانه لم يعثر على ما اوجده الاولون من المخترعات ولم يوفق هو ايضاً الى ايجاد ما يقوم مقامها رغم جده واجتهاده وما بلغ اليه من الرقي . هذه بعض آثارهم الخالدة بجلاميدها الضخمة هذه التي نراها قائمة بعضها فوق بعض كأنها البناء الحديث هذه مومياؤهم التي ارتنا وجوها كأنها فقدت انفاسها منذ برهة او كأنها لم تدفن قط على انها منذ آلاف السنين وحسبك ما تفقد آلاف السنين مما اتاه الاولون .

كل هذا دليل على افتقار الاراء الى بعضها وعلى ان التطور يشترط فيه الاتصال ، مهما تقدم الانسان في آرائه ونضج ولا سبيل الى ذلك الا عن سبيل الحرف . فافضلية القلم على سائر ما اوجده الانسان منذ القديم او ما سيجده في المستقبل هي حقيقة لا ريب فيها ولا جدال ، مهما اختلف الانسان عن الانسان في رأيه وابتعد عنه في معظم الاشياء . فيرى الاديب ان الاولين لو استطاعوا تسهيل الحرف وتعميمه واوجدوا الطباعة مثلا كما هي الحالة في هذا العصر ، لما استطاع الدهر ان يطمس شيئاً من اخبارهم ولكان عصرنا هذا اعظم مما يراه كثيراً وانسانه اقرب الى الحقيقة منه الى الى ما يعرفه ، فالمتأخرون وانلم يتصلوا بالاولين اتصالهم بالمتأخرين منهم من هذه الناحية غير انهم لم يصلوا الى ما وصلوا اليه لو لم يؤسسوا على بنائهم ويتدرجوا على طرقهم مع توالي السنين الطوال الطوال ، وهكذا ستكون الاعصر الآتية بلا شك وانما بخطى اوسع كثيراً نسبة لما مضى والفضل فى معظم ذلك للقلم كما يعلم الاديب ولسوف يظل الفضل له حتى الابد . ولو لم يكن للقلم الا حفظه اخبار الاولين وحدها ، لاوجب علينا تعزيزه وتسهيله ، فاقرأ به اخبارهم وتاريخه بعد هذا الكلام واسعى الى ايضاح تاريخك بتعزيزه .

المدنية الاولى

قديماً قبل ان تفارق الشرق شمسه ، ويخرج الغرب من غياهب امسه ، كانت تدرس في وادي النيل والفرات ، العلوم من طب وتاريخ ودين وادب وينظم الشعر اثر النصر في الحروب ، وذلك قبل ان يكون هنالك حرب واختصام ، وانما هو داء العالم العضال منذ الازل ، هذا الداء الذي لا برء منه ولا شفاء الا اذا مائل الانسان الانسان سمواً في الخلق ورفعة في الادب ، او عادله قوة في الحياة .

تانك مدنيتان في الشرق قديمتان قرأ انسانهما الاول وكتب قبل ان يشيد (خوفو «١») هرمه ، ويسن (حمورابي « ٢ ») شريعته ، وقبل ان تعقبهما مدنيات اخرى في الجزيرة والشام ، وفارس واليونان ، والهند والصين ، وقبل ان تتولى فينيقية ملكية البحار شؤون العالم في نشر المدنية التي يبتدئ منها التاريخ .

آثارهما الخالدة

وهذه الآثار الخالدة من حفر وبناء وصناعة وهندسة ، بل هذه المعجزات الحافظة لنا بعض ما اتصلوا اليه والمخلدة لنا عظمة اعمالهم ، لهي

---

١) خوفو هو عظيم السلالة الرابعة التي حكمت من (٣٧٠٠ - ٣٥٥٠) قبل الميلاد وكذلك هرمه هو اعظم الاهرام فيبلغ علوه (٤٥٠) قدما وقاعدته ثلاثة عشر فداناً انكليزيا اي نحو (٦٤٥٠) ذراعا مربعاً روي عن خوفو هذا بانه اشغل في بنائه مئة الف عامل مدة عشرين سنة عن « ماير » .

٢) حمورابي هو سادس ملوك الدولة الارامية في بابل جاء في سنة (٢٢٥٠) قبل الميلاد وحمورابي هذا هو صاحب الشريعة التي اكتشفها الافرنسيون سنة ١٩٠١ في سوسا احدى مدن عيلام القديمة مكتوبة بالحرف المسماري وكان لاكتشافها دوي هائل في اوروبا وهي اقدم شريعة في العالم عرفت حتى الان .

اكبر برهان على ازلية هذا الشرق الجبار وعلى ان شمسه انبعثت من النيل والفرات قبل ان يمتد نورها الى سائر الجهات الا اذا كان تحت الجزيرة ما تحتها وذلك ما سوف تكشفه الايام الى من في الاصلاب .

كتابتهم

وهذه الصور البادية على تلك الآثار منذ القدم ، ما زالت مبعثاً للشك في اصلها وحقيقة الاولين حتى اذاح التنقيب عن فمها اللثام ، فنطقت باخبار القرون الاولى ، وما ادراك ما القرون الاولى ، مدنية منذ آلاف السنين لم يستطع الدهر ان يطمس اخبارها رغم ما تبدل وما طوى . ولتلك التي فرقت ما بين الشك واليقين فكانت كتاباتهم التي فيها يدونون والسنتهم التي ما زالوا بها ينطقون (١)

هذه لمحة عن المدنية الاولى التي لا محل لها في بحثنا هذا لاذكرها كما فعلت لو لا انى اريد ان استدرج الحرف من مهده الاول ليطلع القارئ الكريم الذي سنحتكم اليه اخيراً في هذا الكلام على كل تطوراته منذ ابتدائه حتى اليوم فاقول :

الكتابة الاولى

الكتابة الاولى التي وضعها الانسان الاول ليستعين بها على حاجاته كعاقل في هذه الحياة ما زالت حقيقتها مجهولة وانما العقل تصورها وتصور الانسان الاول من هذه الناحية لا سيما بعد ان عسر المنقبون او الاثريون على كثير من هذه الكتابة الصورية التي حل غموضها اخيراً ، هذه التي ادرك منها الاثريون بان الكتابة الاولى صورية لا علاقة لها بالهجاء قبل ان

١) اكتشف الكتابة المصرية القديمة شامبليون في دخول نابليون بونابرت مصر سنة ١٧٩٨ وذلك انه وجد مكتوبا على الحجر الرشيدي الموجود الان في المتحف البريطاني باللغتين المصرية واليونانية وبحرفيها وبانواع الخطوط المصرية الثلاثة . والحرف اليوناني هو الذي ساعده على قراءة الحرف القديم وانها لعبرة تذكر .

تصل الى دورها الذي اكتشفوه ، وصورية بسيطة في المرحلة الاولى تدرج بها الانسان القديم قبل ان تقلب ادواراً كثيرة او قبل ان ترتقي الكتابة الى دورها « الصوري الرمزي » الذي ما زال الانسان يستعمله حتى الان من قبيل الالغاز وحل الرموز . وتأكد ذلك ايضاً من حال الانسان الذي ما زال الجهل ملازما له في غاباته وصحرائه في سائر الاقطار ، هذا الذي ما زال يكتب بالصور الرمزية حتى الان .

وعلى هذا قسموا الكتابة الى دورين صوريين لا علاقة لهما بالهجاء ، والى دورين بعد ذلك « صوري هجائي فهجائي حرفي » وهو هذا الاخير الذي نكتب فيه .

« المرحلة الاولى والثانية او الدور المادي (١) والدور الرمزي(٢) »

فالانسان الاول صور في المرحلة الاولى ما يريده ويقصده ، والصور واحدة لا تختلف في الامم . فكان اذا وضع الانسان صورة اسد مثلا فكأنما اشار بذلك الى الاسد نفسه ولم يتعداه الى المعنى الذي يحتاجه في نفسه. ولا يخفى كم بهذا الدور من العجز الذي لم يلبث الانسان التائه عليه طويلا حتى توسع في وضع دلائل اخرى واشارات ترمز عن المعاني التي لا اجرام لها فترسم كالخوف والشجاعة والحب والبغض وما اشبه ذلك .

فهذا هو الدور الرمزي الذي اختلف فيه الانسان عن الانسان قليلا في كتاباته لاختلاف الاقاليم والعادات . فكان اذا عبر ابن النيل عن الشجاعة بالاسد مثلا فلا يمنع ذلك ابن الفرات ان يعبر عنها بغيره من الحيوانات المفترسة او القوية مثلا .

ولهذا ابتدأ الاختلاف قليلا بينهما في الكتابة الرمزية . وكانت كتاباتهم هذه عبارة عن صور واشارات يدل بعضها عليها وبعضها على ملزوماتها من المعاني المصطلح عليها في كل امة من هاتين الامتين القديمتين .

(١) الدور المادي هو رسم المادة عيناً من اي نوع كانت .(٢) الدور الرمزي هو الرمز الى الشيء باشارات مصطلح عليها .

فالانسان الاول الذي اوجد الكتابة قبل ان يعهدها كان كالاعجمي الذي يستعمل الاشارة بدلا من الكلام في قضاء حوائجه لتعذر ذلك عليه، وهذه طبيعة غريزية في الانسان يلجأ اليها لدى الحاجة ليستعين بها على بيان ما يريده من القول . وما زالت هذه الوراثة في الكتابة الصورية موجودة بين بعض ابناء الصحاري وهنود اميركا ومن شاكلهم حتى اليوم .

المرحلة الثالثة او الدور الصوري المقطعي

واما الكتابة التي وضعها الانسان في المرحلة الثالثة واعني بها الدور المقطعي الصوري فهي مغايرة لما سبقها من الكتابة كثيراً لتمثيلها المادة لفة لا رسما . وهي خطوة واسعة الى الامام سجل بها الانسان الاول اعظم ادواره التاريخية المجيدة . فكأنه عكس رسم المادة على لسانه واستعان باسمها عن رسمها او الرمز اليها . وذلك لانه مثل بها الاسماء دون الاجسام او الصفات فكانت من اللغة كالهيكل لها ، لان اللغة كما لا يخفى هي مجموعة كل ما في الكون من مادة ومعنى ، او هي كل ما يشعر به الانسان باحدى حواسه ، او كل ما يجري على لسانه من قول لا رسم له . فكأنما الانسان اوجد لنفسه تمثالا افرغ فيه روحه ليحفظها الى ما شاء الله .

وقد ابتعدت الكتابة من بعضها شكلا في هذه المرحلة التي مثلت السمع دون البصر ، وخرجت البابلية من دورها الصوري الى اشارات اشبه بالمسامير منها بالصور القديمة ، فبلغت المقاطع بالاشارات بضع مئات من الاشكال في بابل حيث اختلف المؤرخون في تصور هذا الدور كما هو ، وفي الحقيقة كل قديم مجهول . فمنهم من توهم الاشارة صوتاً وعدها حركة في الحرف البابلي مثلا كما يتوهم بعضهم الان بان الاحرف الصينية المتراوحة بين عشرات الالوف كانت لا احرفا ومقاطعاً لوفرة عديدها والى غير ذلك .

والواقع هو ان الانسان القديم قسم الكلمة الى احرف ومقاطع في مصر وبابل ولم يستعمل الحركة ، والى احرف ومقاطع وحركة في الصين وحدها وما زالت كذلك فيها حتى الان .

والدليل على ذلك هو انه لو استعملت الحركة في هاتين الامتين كما استعملت في الصين لكانتا مثلها وهذا لم يكن وتفصيل ذلك في الهامش فانظر اليه : (١)

(١) المقطع هو الهجاء الواحد من الكلمة وهو نوعان احدهما متحرك مستقل لا يليه حرف ساكن مثل بَ ، غُ ، فِ وغيرهامن الاحرف حيث يلفظ كل حرف بحركة مستقلا عن كل حرف يليه . والآخر حرف متحرك وانما يليه حرف ساكن فيشكلان كلاهما مقطعاً واحداً مثل مَعْ عُمْ عِمْ الخ .. وذلك لان الحرف الساكن لا يلفظ الا مع حرف متحرك آخر اذاً فكل مقطع يقع في الكلمة اما ان يكون حرفا متحركا مستقلا وهذا لا يزيد عدده عن احرف الهجاء التي هو منها ، واما ان يكون مقطعاً من حرفين يقع احدهما ساكناً وهذا عدده يبلغ مربع عدد الاحرف . فالمقاطع في الامة البابلية التي كانت تتراوح بين « ٤٠٠ — ٥٠٠ » مقطعاً كما اكتشفت كيف حصلت ؟ الجواب :

لنفرض بانالاحرف في بابل كانت ٢٢ حرفا كما كانت في الفينيقين فيما بعد فكل حرف منها متى وقع ساكناً يحتاج الى حرف متحرك يليه ليمثل المقطع لفظاً كما ذكر فكأنما ضربنا ٢٢ X ٢٢ = ٤٨٤ومن ثم نضم الحاصل هذا الى عدد الاحرف المستقلة التي هي مقاطعاً ايضاً وعددها ٢٢ فيكون المجموع (٥٠٦) مقطعا وهو ما يزيد عن نصف الالف . وعلى هذا القياس كانت المقاطع في المدنية الاولى حتى فى الصين .

وانما الصينيون قد استعملوا الحركة لتميز كلماتهم وادخلوها في مقاطعهم . واذا فرضنا لهم احرف بابل وفرضنا لهم اربع حركات فقط لاحتجنا الى ضربها بعدد الاحرف اي (٤ X ٢٢ = ٨٨) والحاصل هذا نضربه بالحاصل الذى مر اولا اي (٨٨ X ٤٨٤ = ٤٢٥٩٢ ومن ثم نجمع اليه الحاصل الاول ٨٨ فيكون (٤٢٦٨٠) وهو الحاصل الاخير ولو فرضنا لهم خمس حركات بدلا من الاربع لكان الحاصل(٥٣٣٥٠) وهذا العدد

فالانسان القديم في دوره هذا ، وان تقيد بالهجاء او المقاطع الكثيرة كما رأيت وانما كان في نعمة كبرى نسبة الى من سبقه من الاولين لانه استطاع ان يعبر عن افكاره بلغة ظاهرة واضحة ، لا بالغاز غامضة يحتاج معها الى التفكير شأن الاولين ، فهو وان كثرت مقاطعه من جهة وانما كانت محصية بخلاف الاشارة التي لا تحصى . ولهذا اكبر تحوير حصل للقلم في تاريخ الانسان بانتقاله من الرسم الى اللغة لو لا تباعد اللغات من بعضها بعكس الاشارة التي يشترك فيها الانسان ، ولكن لا بد من يوم سوف يأتي فيشترك فيه العالم من اقصاه الى اقصاه بلغة واحدة او لغتين او لغات قليلة يحدثها لهذه الغاية وحدها فتكون مكان الاشارة منه وانما بعد ان يبلغ الانسان حد الكمال بدافع الحياة .

المرحلة الرابعة او الدور الحرفي

وفي المرحلة الرابعة الكبيرة هذه قد انفصل المقطع (١) الى حرفين واستعيض بما هو دون الثلاثين من الاحرف بدل المات من المقاطع ، وكانت مصر هي الاسبق اليها من بابل التي ادركتها الاحرف الفينيقية قبل اجتيازها هذه المرحلة . ولان بقي الحرف في مصر بشكل صوري كما كان في السابق غير ان هنالك نوع اخر كان اقرب الى شبه الصورة منه الى اصلها تسهيلا لليد (٢) وصور هذه المرحلة الاخيرة ، التي كانت

الذي تجاوز الخمسين الفاً حصل عن هذا الطريق كما رأيت وليس هناك اكثر من هذا لا كما يظنها المستقربون .

فالواقع هو هذا لا ان احرف الصينيين كلمات ، وانما لغة المغول مقطعية لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف بخلاف لغات الساميين او الآريين وخلافهم كما يعلم الاديب .

١) بانفصال الحرف الساكن من المتحرك تدانى عدد الحروف من المآت الى العشرات كما سترى في الحرف الفينقي .

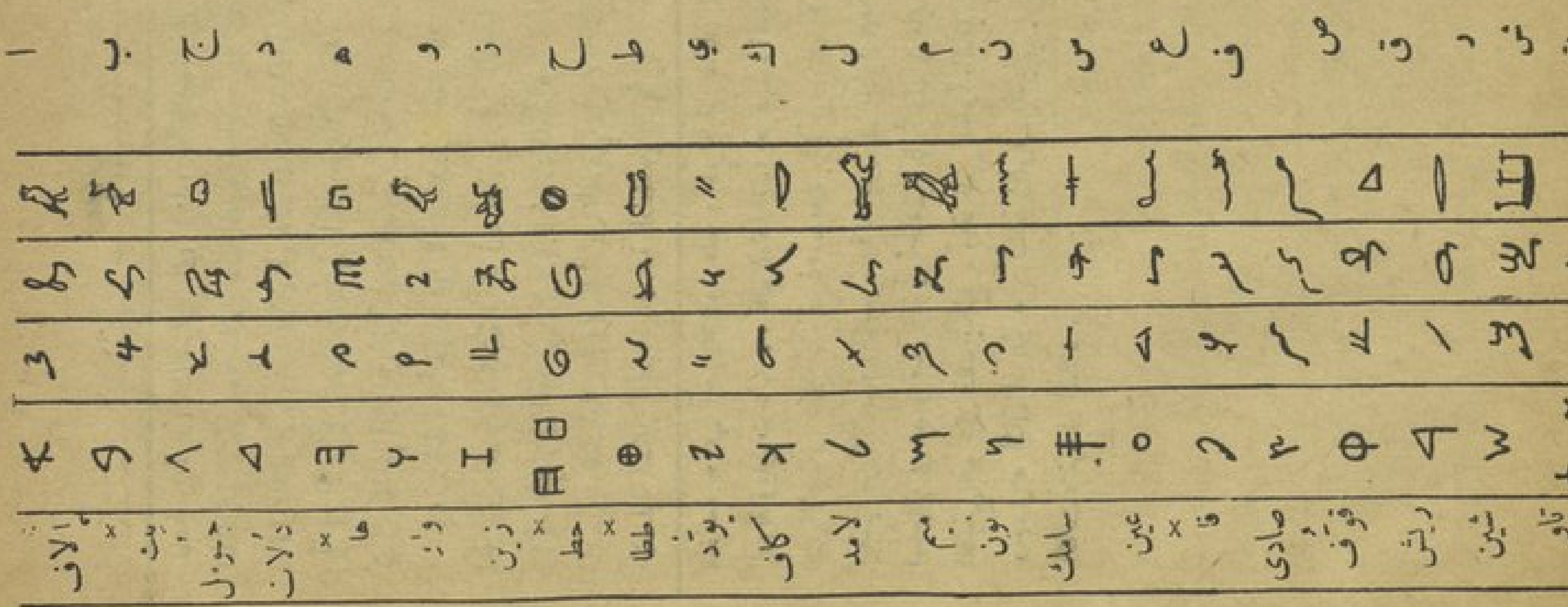
٢) كان يستعمل في مصر الحرف الهيروغليفي للكتابة المقدسة فقط وكان

خاتمة الحرف المصري هي هذه الظاهرة على كثير من الآثار الخالدة في مصر حتى الان هذه المعروفة بالاحرف الهيروغلوفية التي كانت ما قبل التاريخ . ونحن الان في هذه المرحلة الاخيرة ، او في هذا الدور الحرفي الذي كان للفينقين شأنهم الكبير في نشره وهو مما سنعود اليه بعد ان نقول كلمة في الاولين تمماً لبحثنا بوجوب الاصلاح في اساس الحرف .

وهذه قطعة مأخوذة عن تاريخ الادب لحفني بك ناصف تظهر فيها الحروف المصرية الثلاثة والحرف الفينقي . فمن اليمين الى اليسار الحرف (١) المصري المقدس ، (٢) فالحرف المصري للخاصة ، فالحرف (٣) المصري للعامة ، (٤) فالحرف الفنيقي ،(٥) فاسماء فنيقية تشبه مسمياتها الاصلية اشكال الحروف ، بلغة الفنيقيين (١) .

للخاصة حرف آخر اطلقوا عليه « الهيراطيقي » كان يستعمل في دواوين الدولة وبين خاصتها ، وكان للعامة ايضاً حرفهم « الديموطيقي » وهو ابسط تلك الاصناف شكلا . وقد ذهب بعض الأثريين بان الاحرف الفينقية مأخوذ بعضها من الاحرف المصرية وقد يجوز ان يكون بعكس ذلك لانه لم يثبت استعمالها في مصر قبل القرن الخامس كما يقول (ماير) بين ان الحرف الفنيقي هو قبل ذلك بكثير . وقد ظهر اخيراً بالتنقيب ما يؤيد ذلك في « جبيل » لبنان اذ عثر على كتابة بالحرف الفنيقي يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

شكل (١)


ا ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت
(١) (٢) (٣) (٤) (٥)
ألاف
بيث
جيمل
دلات
ها
واو
زين
حط
طط
يود
كاف
لامد
ميم
نون
سامك
عين
فا
صادي
قوف
ريش
شين
تاو

كلمة فى المدنية الاولى

فالاولون كادوا ان يكونوا لبعدهم الباعد منا كالكواكب النائية عنا في هذا الفضاء الواسع . هذه الكواكب التي لا ترى منها الا نوراً ضئيلا رغم تطلع الراصدين اليها واجتهادهم في معرفة ما يجهلونه منها ، وكذلك نحن مهما تصورنا الاولين وتطلعنا اليهم مما بقي من اثارهم لمعرفة شئونهم فاننا لن ندرك كل ما كانوا عليه بالتحقيق لابتلاع هذه الارض كثيراً منها ولتحول اكثرها الى تراب مثلما تحول وجه الارض عما كان عليه . ولعل هذه النجوم النائية عنا في هذا الفضاء اللامتناهي سوف نعرف عنها في مستقبل الايام اكثر مما سنعرفه عن حقيقة الاولين لزوال كثير من آثارهم كما ذكرنا وبقائها سابحة في هذا الفضاء الى ما شاء الله . ومع هذا لا بد من يوم سوف يعرف فيه الانسان الاول اكثر مما عرف عنه حتى الان ، رغم ما ضاع من آثاره الكثيرة في طيات السنين ، وسيكون اعظم مما نتصوره حتى الان على ما اعتقد ، وهذا ما نتركه في بطون الايام الى جانب ما فيها من اسرار .

ورغماً عن هذا نستطيع ان نحكم بما بقي من اثار الاولين ومما عثرنا عليه من كتاباتهم ، بانهم كادوا ان يكونوا كابناء اليوم حضارة ومدنية لو لم نمتاز عنهم فى بعضها ، وانما لا يمكننا تصورهم تصور من جاء بعدهم لتحول في احرفهم وتطورها ما نقوله باحرف الاخرين رغم ان الحرف الحاضر لا صلة له بحرفهم لو لا اننا نريد ان نذكر تطور الحرف في اساسه وتقبلهم ذلك من جهة ولانهم هم الذين اوجدوا المدنية الاولى من جهة ثانية . اولئك الذين عاشوا قبلنا تحت هذه السماء وشربوا النيل والفرات وتغذوا من ارضيها كما نتغذى نحن الان . وانما كانوا غيرنا في زمانهم من حيث العظمة والسؤدد قبل ان تتنكر لهم الايام اخيراً وينازعهم في السيادة من هو دونهم في العرقة والقدم .

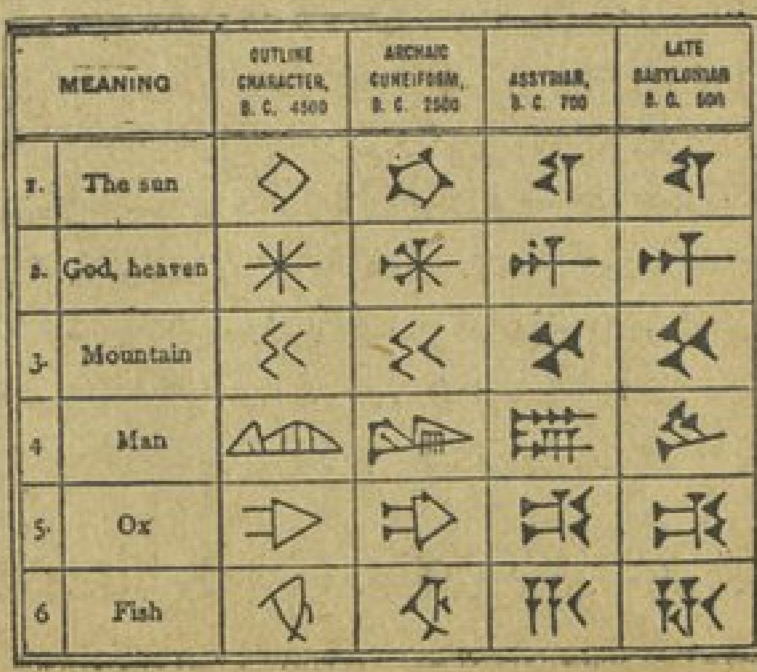
اجل هو ذلك الرجل الشرقي الذي ما زال كانه ينكر السيادة على غيره

وكأني به وقد شعر بانتقالها او التنازع عليها فهب من مرقده يتطلع من هرمه ويرجعه الى خلفه ليرى اي الرجلين هو، ويقول له ان السيادة حقه الموروث تأبى له على اهماله هذا الذي لا يرضاه .

فالانسان الاول الذي تطاول الى معرفة النجم فرصده وقسم اوقاته وايامه بعد ذلك وحدد ايام سنته كما هي الحالة اليوم وتنبأ بالكسوف والخسوف ووضع الشرائع والقوانين والموازين والمكاييل وكثيرا من الاسس التي ما زلنا نعمل بها حتى اليوم ، والذي اوجد احرف الهجاء هذه من العدم هذه التي تقلبت ادواراً كثيرة في شكلها وهجائها لم يتردد في اخذ ما هو اصلح له منها مما وصل اليه بدلا مما كان له واستعمله آلاف السنين مع ما كان عليه من الرقي كما رأيت .

فهذه المقاطع في بابل دولة هذا الشرق قديماً قد مرَّ عليها ما ينيف عن اربعة آلاف من السنين دون ان يتبدل نظامها حتى ادركتها احرف الفينقيين هذه فتبدلت في حين ان مقاطعها او حروفها حينذاك تبدلت اشكالا كثيرة في خلال تلك الاعصر كما تبدل هذا الحرف وغيره في شكله دون نسقه واليك هذا الرسم فانظر اليه : فتجدن التطور ظاهر شكلا في كل كلمة كما ترى وتفسيرها مترجم في الانكليزية

٥٠٠ق.م ٧٠٠ق م ٢٥٠٠ق.م ٤٥٠٠ق.م



	MEANING	OUTLINE CHARACTER, B. C. 4500	ARCHAIC CUNEIFORM, B. C. 2500	ASSYRIAN, B. C. 700	LATE BABYLONIAN B. C. 500
1.	The sun				
2.	God, heaven				
3.	Mountain				
4	Man				
5.	Ox				
6	Fish				

شكل (٢)

فنحن وان مرت بنا ثلاثة آلاف من السنين دون ان ننظم الحرف كما يجب فقد مر بالبابليين وغيرهم اكثر من هذا الزمن ، ولكانوا اولى منا تمسكا بمقاطعهم القديمة تلك ، اذا كان طول الزمن يمنع ذلك، ولما عملوا بما هو خير منها حين اهتدوا اليه شأن الانسان في كل ادواره .

فطول الزمن من هذه الناحية لا يمنع الانسان عن الاصلاح حين يهتدي اليه طالما الانسان في كل ادواره يسعى الى انتقاء الاصلح .

فالذي اريد قوله او اريده من هذا الكلام هو ان الحرف هذا وان مرت عليه آلاف السنين دون ان ينظم او ينسق كما يجب وانما قد تغير وتبدل في شكله بقصد اصلاحه بعد ان تفرع كثيراً ،وذلك لا لانه لا يحتاج الى اصلاح او تنظيم ، بل لان مستعمليه لم يدركوا علته حينذاك ليصلحوه . وانما اذا قدر له الآن من ادرك علته واصلحه منها مثلا ، فلا يجب ان ينكر عليه عمله هذا ، بل يجب التثبت من قوله والعمل به اذا كان ما يقوله صحيحاً سواء كان الاصلاح فى الاساس او البناء ، والا" لوجب علينا ان ننكر على الانسان كل اعماله التي احدثها منذ القديم حتى الان .

واما انه يجب علينا ان نقتدي بالاولين على السواء ، فهذا عمل لا يرضاه العاقل المخلص لقومه ، وانما يجب علينا ان نقتدي بالمصلحين منهم اولئك الذين طلبوا اصلاح هذا الحرف ولم يتوفقوا ، والا نستمر بهذه الغفلة التي من دأبها ان تمر بالانسان منذ القدم . وهذا مما سنعود اليه بعد ان نذكر تطور الحرف هذا بقصد اصلاحه بعد ان تفرع من اصله الفنيقي القديم ونذكر علة اختلافه عن بعضه شكلا وميزة كل من حرف العرب او اللاتين عن بعضهما لهذا السبب ، ليرى القارئ الكريم بان الاصلاح وحده هو الضالة المنشودة التي يطلبها الانسان منذ القديم .

فابدأ اولا بالحرف الفنيقي الذي هو اصل كل هذه الفروع ، فاشرحه وانما قبل ذلك لا بد لي من لمحة عن الفنيقين من حيث

دولهم لندرك اسباب انتشار حرفهم من جهة ، ولنذكر شيئاً من تأثير عملهم تمهيداً الى خروج الغرب من ظلماته وابتداء الكتابة فيه من جهة ثانية فاقول :

الفنيقيون

لان مر الانسان الاول في اعصر مجهولة حتى تجاوزها الى عصرين فتتابعين تفاوتا عن بعضهما عملا بناموس التطور والارتقاء وهما عصرا الحجري فالمعدني ، فهكذا مر ايضاً في اعصر مجهولة حتى تجاوزها الى عصرين متتابعين تفاوتا عن بعضهما عملا بناموس التطور والارتقاء وهما عصرا المقطعي فالحرفي . وكان الفضل في الثانية لابنة البحار « فنيقية » منذ ثلاثين قرناً ونيف . تلك الدولة النشيطه التي كانت صلة بين تينك المدنيتين القديمتين وبين من قام بعدهما ، وسفيرة ما بينهما وبين سائر العالم في نشر التمدن القديم من حيث هو على سفائن ذهبية صاغتها من ارز لبنان الازلي .

تلك هي فنيقية التي وضعت كل ما هو بمثابة الاساس من البناء في تلك الاعصار وذرت بذور المدنية القديمة في البلاد التي كانت خالية منها لا سيما في الغرب الذي اخصب فيه غرسها كثيراً وكان وبالا عليها بعد حين .

فالفنيقيون الذين كانت حصونهم السفائن وعمالهم اوتياد السواحل في نقل التجارة من سواحل لبنان حتى الاتلانتيك غربا ومن البحر القلزم حتى المحيط الهندي شرقا ومن صور حتى مصر ، فالحجاز ، فاليمن فالعراق فبابل فتدمر براً . والذين تجاوزت مستعمراتهم نصف الالف منتشرة في جزر المتوسط وفيما يليه من سواحل اسيا وافريقيا واوربا حتى قادكس في ساحل الاتلانتيك ، لا يستغرب ان ينتشر حرفهم حين ذاك دون سواه في كل هذه البلاد التي تليهم او التي كانوا يرتادونها بتجارتهم الواسعة حينذاك .

حروفهم

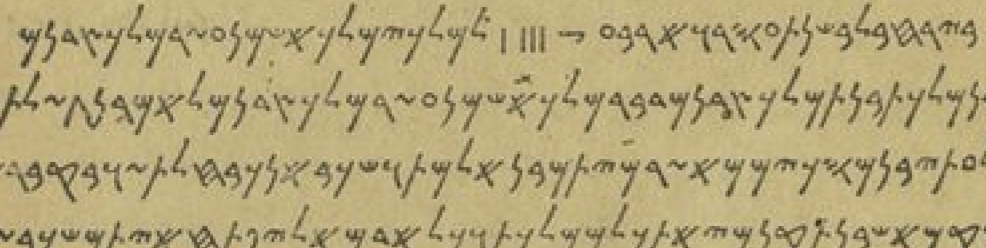
فالفنيقيون كانوا عنوان الجد والنشاط في كل اعمالهم واصلا لكل مدنية

فى الارض لا في هذا الحرف وحسب سواء كان ما نشروه منها هو من اعمالهم او كانوا سفراء فيه . فالفنيقيون من هذه الناحية كانوا في ميزة لا ينكرها التاريخ عليهم مهما غمط التاريخ من حقوق الاولين ، ولو لم يكن لهم الا ايجاد هذا الحرف وتعميمه لكفاهم ذلك ذكراً حسناً ابديا . فهم قد عرفوا اهمية الاحرف الهجائية في تجاراتهم الواسعة حينذاك وادركوا لزومها في معاملاتهم فعملوا على تسهيلها بعد ان كانت لا كما يرغب فيه الانسان ، وفصلوا الحرف الساكن من المقاطع واعتبروه حرفا مستقلا لحدته ، فتدانى عدد الاحرف من المآت الى اثني وعشرين حرفا واتخذوا لها شكلا اخراً اسهل مما كانت عليه واطلقوا عليها اسماء تبتدأ بها بعض مسمياتهم حينذاك تسهيلا لحفظها كما رأيت .

وهذه قطعة بالحرف الفينيقي مع ترجمتها الى العربية مع مراعاة كل سطر على حدته يرجع تاريخها الى ٣٨٠ سنة قبل الميلاد .

شكل « ٣ »

مأخوذة عن تاريخ الادب للجامعة المصرية



١) في شهر بول سنة ١٤ من حكم الملك اسمو نزار ملك الصيدونيين .
٢) ابن الملك تابنيت ملك الصيدونيين اسمو نزال تكلم قائلا قبضت .
٣) قبل الاوان ، ابن ايام قليلة يتيماوابن ارملة وها انا ذا استريح في هذا الناوس بهذا القبر
٤) في المحل الذي بنيته لنفسي وانا اناشد كل امير او انسان ان لا يفتح هذا القبر

فروع الاحرف الفنيقية (١)

فالذي نتج من عملهم هذا ان تفرعت حروفهم الى اربعة فروع هي الارامية ، واليونانية ، والحميرية ، والعبرية فمنها ما اثمر واينع ومنهاما ذبل وباد .

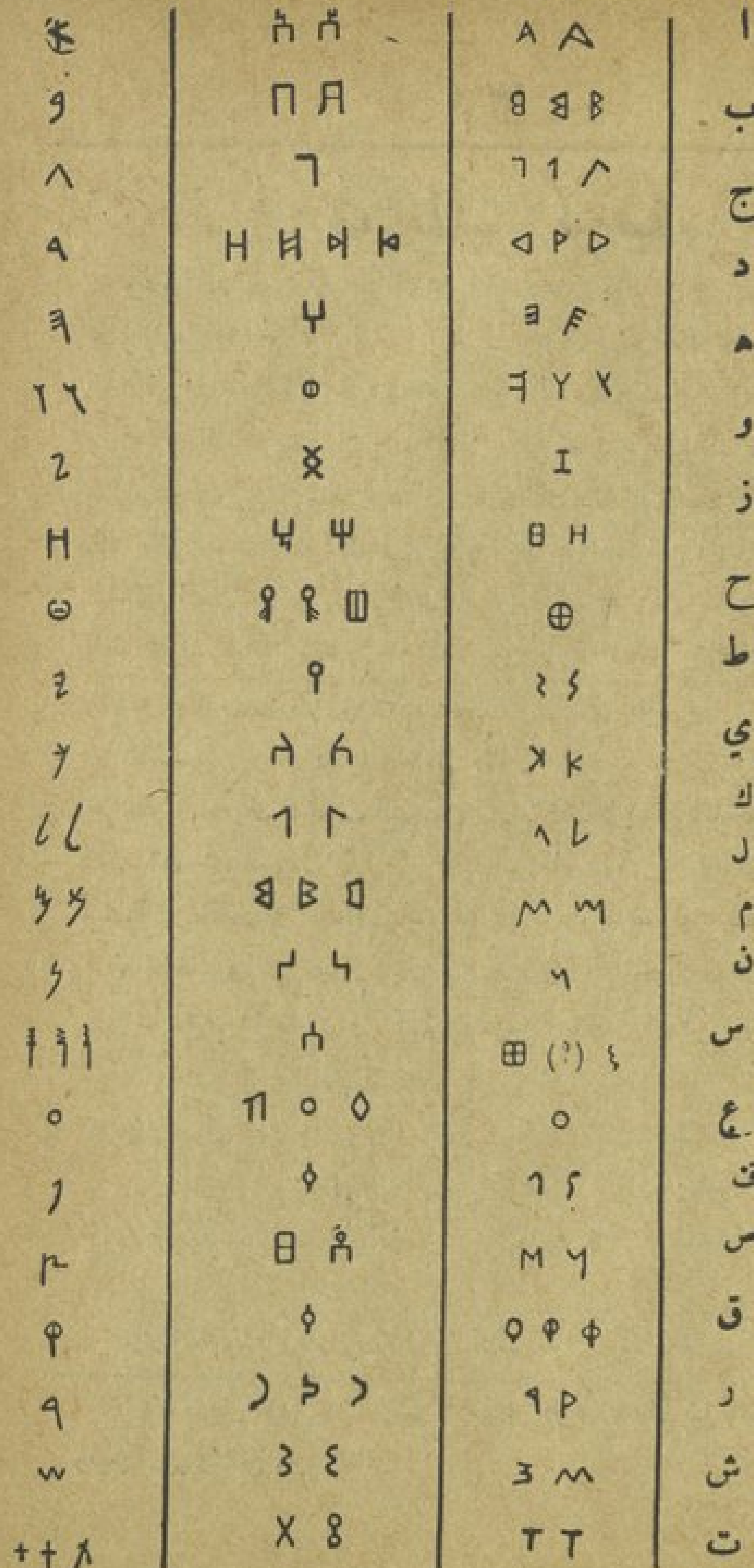
واما الفرعان اللذان اثمرا وامتدا كثيراً فهما اليوناني الذي طوق الغرب من اقصاه الى اقصاه ، والارامي هذا الذي تغلغل في الشرق وتفرع فيه الى فروع كثيرة تختلف عن بعضها اكثر مما تختلف فروع شقيقه في الغرب وهذا مما سيأتي بيانه في محله .

وهذه ثلاثة من فروعه الاول الحرف اليوناني (١) فالمسند الحميري (٢) فالارامي . (٣) مبتدأ من اليمين الى اليسار شكل (٤)

---

١) لو احصينا امهات الاحرف الموجودة في العالم الفيناها لا تزيد عن خمس امهات وهي هذه الفنيقية ، والصينية ، والمصرية ، والحثية التي ظهرت في الشام وبادت كما بادت البابلية بعد ظهور الفنيقية الى حيز الوجود .

فالكتابة الموجودة الان في ثلثي العالم تقريباً ترجع الى الحرف الفنيقي هذا والثلث الاخر الى الصينية المستعملة في الشرق الاقصى في الصين واليابان وسائر بلاد المغول .



شكل (٣)

لمحة في الفنيق كواضعين

وهنا لا بدلي من كلمة عن الاصل قبل الدخول في هذين الفرعين الكبيرين او لا بد لي من لمحة عن الفنيق وتشريح الحرف في بدأته لندرك سر الخلل الذي ما زلنا نلمسه في فرعيه هذا حرف العرب وحرف اللاتين فاقول :

الحرف اذا شرحناه تشريحاً شاملا له من حيث هو الفيناء مكوناً من رسم وهو شكله ومن روح وهو لفظه . وذلك لانه نائب عن الانسان في الذهن ، او صورة مصغرة عنه فيها . فلهذا يحتاج واضعه الى معرفة في الصناعة او الفن ليحسن شكله ، والى معرفة هي اكثر من معرفة اللغة لتقسيم لفظه ، والى معرفة تامة في علم النفس في كليهما الشكل واللفظ ليستطيع واضعه ان يجعله حرفا يسهل فهمه على الانسان كما نتطلبه نحن الان .

فالفنيقيون سواء كانوا هم واضعي الحرف هذا او ناشريه في الامم ، فما خرج هذا الحرف المنسوب اليهم عن انه جاء مخلا لا يصلح للغاية التي نتطلبها نحن الان وهي الشرط الاول في الحرف . فالفنيقيون انما وضعوه ايجابا لمقتضيات الانسان في تلك الاعصار كما رأيت ليروج سوقه كسلعة نفيسة شأن الفنيقين في كل اعمالهم وتجاراتهم حينذاك . والبرهان على هذا هوانهم لم يراعوا فيه ما يجب مراعاته تسهيلا لفهمه او تعلمه كما ذكرنا ولجاز ان يمكنهم ذلك لو كان غرضهم هذا او كان موقفهم كموقفنا نحن الان . وانما غرضهم دون ذلك شأنهم في زمانهم ذاك ولكل زمان مقتضيات .

وجل ما اتوه الفنيقيون هو انهم سهلوا شكل الحرف رسماً بدلا مما كان عليه وهجاء حيث استعاضوا بالعشرات عن المآت كما ذكرنا ولربما اخذو ذلك عن المصريين (١)

فيرى القارئ الكريم بان الحرف الحاضر هذا ما زال هو ذات الحرف

---

١) لم يعرف حتى الان واضع الاحرف الابجدية بالتأكيد وانما ينسب وضعها الى الفنيقين وهو الغالب .

الذي وضعه الفنيقيون لو لا تبدله شكلا عن ذي قبل لا سيما حرف العرب هذا الذي بلا قيد حتى الان . ويعلم بان الفنيقين وان اشتهروا بالصناعة مثلا كما اشتهر المصريون بالرسم والحفر وغير ذلك وانما لم يكن الغرض من وضع الحرف حينذلك لاكثر من انه عمل مفيد كما ذكرنا ، لا لاجل ان يعم نشره فيعم انتشار العلم مثلا او يسهل عرفانه وفهمه كثيراً كما نتطلبه نحن الان .

فالخلل الذي نشعر به في الحرف الحاضر جاء في اصله هذا ،نذ ان وضعه الفنيقيون ، ولهذا هو المانع من سهولة التعلم بالسرعة التي يحتاجها الانسان وما زال كذلك حتى الان رغم تطوراته الكثيرة سواء كان ذلك في فرعه العربي هذا او اللاتيني لو لا ان الثاني كان حظه اكثر من الاول لتداركه بالتقييد السهل هذا الذي يعمل به الغربيون .

واليك تطوره في فرعيه هذين الكبيرين « الارامي والرومي » اثباتا لقولنا بانه لم يتغير فيه شيءٌ من حيث اصوله القديمة وانما تغير شكله وبما اضيف اليه من الاحرف والاشارات لاجل ضبط اللفظ فقط .

فابدأ اولاً بحرف الارام الذي تفرع منه حرف العرب هذا رغم انه لا يهمنا منه الا فرعه الاخير هذا اي حرف العرب لو لا اننا نريد ان نظهر للقاريء الكريم بان الحرف الفنيقي ما زال هو هو من حيث تنظيمه وتنسيقه منذ الاف السنين رغم تبدله الكثير الظاهر في شكله وانما قبل ذلك لا بد لي من لمحة عن الارام انسباء العرب القدماء اولئك الذين ما زلنا على سنتهم في اهمال الحرف بلا قيد حتى آلت لغة العرب الى ما هي عليه الان فاقول :

لمحة في الارام ومن سبق الارام في وادي الفرات

يقول ابن خلدون العرب فرعان يجتمعان في سام فتقول لاوذ بن سام ومنه العمالقة وارم بن سام ومنه البائدة . وقد كان يقال عاد ارم ولما هلكوا قيل لمن بعدهم ثمود ارم ، ولما هلكوا قيل لمن بعدهم نمرودارم ولما هلكوا قيل لمن بعدهم سائر ولد ارم ارمان .

واجمع مؤرخو العرب بان العمالقة من نسل اوذ بن سام وهم الذين ملكوا العراق وبابل ثم نزحوا منها الى الجزيرة . وهذا القول لايغاير ما اكتشفه العلم الحديث بعد الحفر والتنقيب .

فسهول ما بين النهرين قديماً اي منذ سبعين قرناً ونيف كانت حكوماتها اقرب الى الاقطاع منها الى الدول تفصل بينها الجداول المشتقة من الدجلة والفرات . وكانت كل امارة تدعى باسم هيكلها الذي لا بد منه في كل امارة منها .

وهكذا حتى انتهت اخيراً الى السومريين (١) الذين استولوا على قسمي الجزيرة الشمالي والجنوبي وفتحوا ما حواليها من المدن والامارات واوجدوا حضارة عظيمة حينذاك . وهؤلاء هم الذين تغلب عليهم الساميون او الارام واخذوا عنهم الحرف المسماري الذي دون به حمورابي شريعته كما مر بك .

فالساميون او الارام احتلوا القسم الشمالي من الجزيرة اولا ومن ثم الجنوبي واسس فيما بعد سرجون (٢) دولة عظيمة بلغت حدودها البحر المتوسط في القرن الاربعين قبل الميلاد . ومن ثم ضعف السومريون نهائياً واضمحلوا اسس ساموابي اي ابن سام الدولة البابلية السامية في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ، تلك الدولة التي تحدر منها حمورابي صاحب الشريعة الاولى كما مر بالاديب .

ولهذا الملك العظيم هو الذي تغلب على العلاميين اعداءهم الالداء واستولى على بلاد تبتدأ من بحر الخزر فجبال القفاس فبحر الاسود شمالا ، فجبال طورس فالبحر المتوسط حتى مصب النيل غربا ، فبحر القلزم

(١) السومريون نسبة الى كورة وهم قوم غرباء لم يعرفوا حتى الان وهم يختلفون عن الساميين شكلا كما ظهر ذلك في الرسوم التي ظهرت بالتنقيب .

(٢) يؤيد هذا حفر على بعض المواميد في السوس .

فاعالي اليمن حتى عمان جنوبا ، فبلاد فارس فخليج البصره حتى اصفهان شرقا وعد مؤسس الدولة السامية الارامية الكبرى .

واخيراً اضمحلت هذه الدولة وقامت محلها دولة اخرى ثم عادت وهكذا شأن تلك الاعصار . واخيراً استقلت آشور وبابل في القرن التاسع قبل الميلاد بعد ان قضى عليها كسرى في القرن السادس قضاء مبرما لا قيام كان بعده وكانت الغلبة للعلايين اخيراً بعد ان تناوبت الارام على عرش العراق اعصراً طوال .

فالساميون هؤلاء الذين نزلوا باديه الشام ، ومن ثم اسسوا دولة كما رأيت هم الارام او الارام منهم غير انه ظل قسم كبير منهم في البادية غربي الفرات كما يقال تستعين به الدوله لدى الحاجة اليه على اعدائها وامتاز هؤلاء عن المتحضرين الذين تولوا الملك باسم اهل الغرب غمور ومن ثم غربي ومن ثم اطلق عليهم عربي واخيراً عرب واختلفت لغتهم عن المتحضرين بتوالي الاعوام كما تختلف لغة البدو عن المتحضرين الان في الشام او العراق وسائر البلاد .

هذه هي الارام في العراق ونحن لم نبحث في غير العراقي عن الارام في حين ان الارام ليسواهم في العراق وحسب كما يعلم ذلك الاديب وانما بحثنا لا يسمح لنا باكثر من ذلك لتقيدنا بحث الحرف وحده هذا الذي سنرجع اليه ونفرعه .

«تفرع حرف الفنيق في الشرق(١)وكلمة في انتشار حرف الارام»

من المعلوم بان الاقلام او الاحرف تابعة للغات في انتشارها وتفرعها وتطورها كما ان اللغات تابعة في انتشارها لتأثير الناطقين بها لا سيما الفاتحين منهم . هذا من جهة ومن جهة ثانيه ، كما ان اللغات تنتشر في الامم بانتشار سلطان الناطقين بها ، فكذلك تضعف او تزول بزوال الناطقين بها او زوال سلطانهم . وانما الاحرف التي تنتشر معها لا تزول معها بزوالها او زوال سلطان اصحابها بل تتفرع او تتطور ايجابا للغات كما تتفرع وتتطور ايجابا لما يحدث من اللغات او يشتق منها .

ومن هنا حصل التفرع والتطور في الاحرف جميعها ، هذا التطور الذي نشاهده في الاحرف الشرقية او الغربية . وذلك لان اختلاط الامم في بعضها لا بد له من تأثير على اللغات فيحصل التطور فيها والتفرع من بعضها كما يحصل ذلك في الحرف ايضا ايجابا له مع مرور الايام .

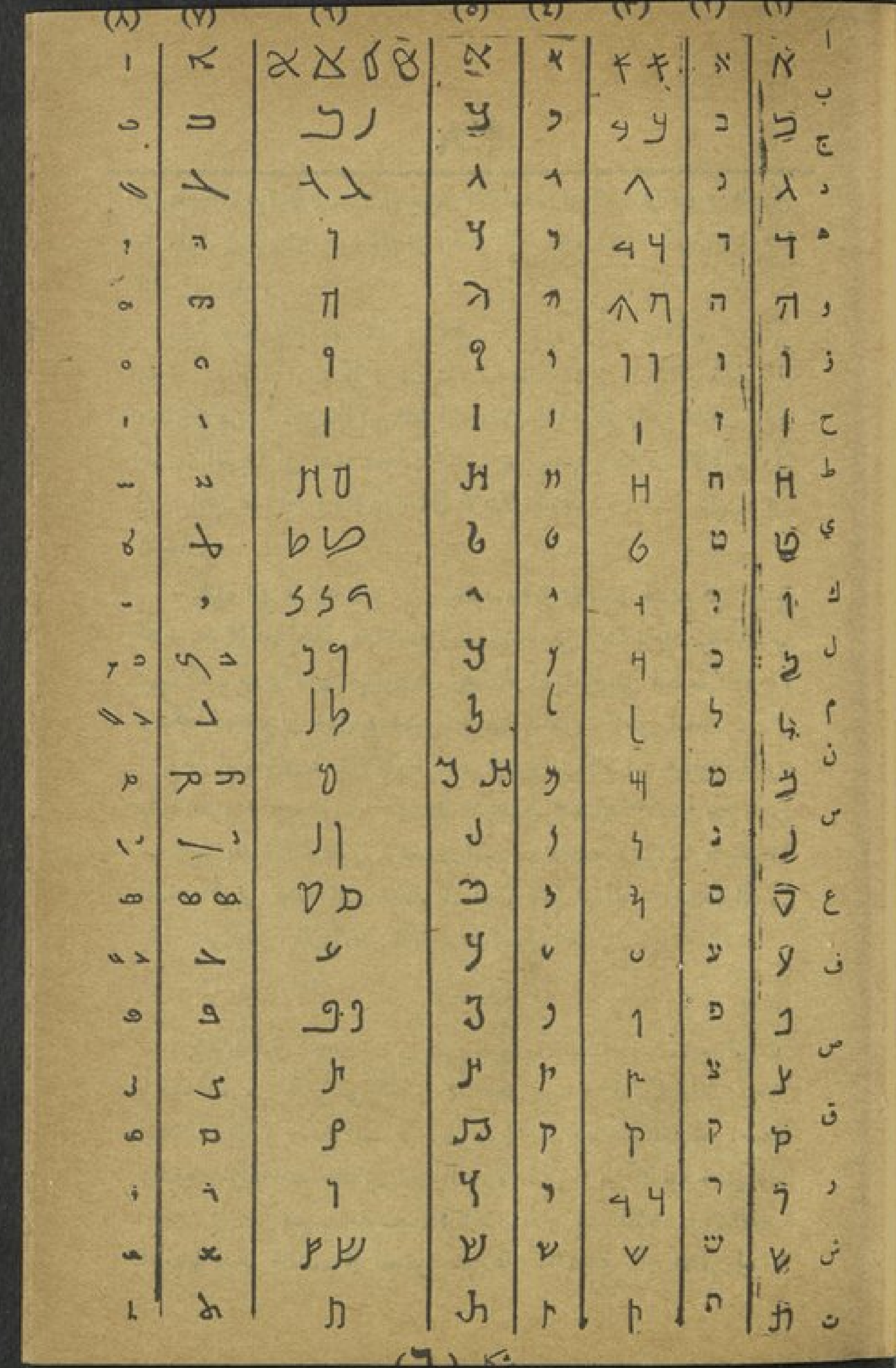
فالحورابيون او الارام في الشرق كانوا من حيث الدولة والسلطان قديماً كالرومان في الغرب من حيث الدولة والسلطة او كالعرب بعد الاسلام

---

(١) تفرع حرف الفنيق في الشرق الى ثلاثة فروع الارامي ، والمسند الحميري ، والعبري القديم فالارامي تفرع الى ستة فروع وهي التدمري ، والهندى بانواعه ، والفارسي الفهلوي ، والعبري المربع ، والسرياني ومنه الحيري على رأي علماء الغرب ، والنبطي ومنه العربي النسخي .

والمسند الحميري تفرع منه ثلاثة فروع وهي الحبشي ، والعبري المربع ، والحيري على رأي مؤرخي العرب ومنهم ابن خلدون والغربيون ينكرون عليهم ذلك .

وهذه بعض فروع الحرف الارامي شكل (٥) فمن اليمين الى اليسار العبري المربع(١) ، فالعبري العادي (٢) ، فالفارسي القديم (٣) ، فالفارسي الرقاع (٤)، فالتدمري(٥) ، فالنبطي(٦) فالسطرنجلي (٧) ، فالسرياني (٨) العادي مأخوذة عن تاريخ الادب لحفني بك ناصف .


(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)
ا ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت
א ב ג ד ה ו ז ח ט י כ ל מ נ ס ע פ צ ק ר ש ת

من هذه الناحية ولذلك انتشر حرف الارام هذا او المسماري قبله في الشرق كما رأيت بانتشار الارامية فيه تلك اللغة التي كادت ان تكون لغة هذا الشرق جميعه .

ومن ثم تفرع حرفهم هذا الى عدة فروع بعد زوال سلطانهم ودولتهم وتطور مع توالي الايام كما تفرعت الارامية بعد ذلك الى الكلدانية فالسريانية مثلا وكما تفرعت اللاتينية الى الطليانية والاسبانية وغيرهما من اللغات ، وكما تفرعت العربية الى بضعة لهجات تختلف عن بعضها باختلاف الاقاليم ولا يجمعها غير هذا الحرف الذي نعمل لاصلاحه وتقييده خشية عليها من التقلبات .

فالكتابة التي تقرأها على آثار بطرا عاصمة الانباط قديماً هي ارامية الاصل لو لا انها تختلف عنها اختلاف الاسبانية عن اللاتينية مثلا، او الارامية التي كتب بها الانباط حينذاك هي ايضاً غير الارامية التي تستعمل اليوم ، وهكذا نستطيع ان نقول في تطور الحرف او تطوره بتطور اللغات .

ومن ثم بعد ان غلب الارام على امرهم في وادي الفرات هبطوا الجزيرة ملجأ العرب واقاموا في جزيرة سيناء يتعاطون التجارة كالفنيقيين حتى غارت سبأ عليهم بعد ذلك وغلبتهم ، فضعفت لغتهم بعد ذلك و كتبوا بعدها بالحرف المسند الحميري ، ولهذا الذي اخذه السبأيون عنهم فيما بعد واخذته العرب عنهم وتفرع منه الحميري الذي اختلف في اصله كما مر بك .

الانباط

والانباط الذين اخذت العرب عنهم حروفهم النبطية واستعملوها قبل ان يأخذوا الحرف الحميري من العراق كانوا اهل دولة في القرن الخامس قبل الميلاد لا يتجاوز عددهم العشرة الاف ، وعاصمتهم بطرا الواقعة بين الحجاز وفلسطين وانما امتد سلطانهم حتى الشام فامتلكوها من السلوقيين في عهد الحارث اول من ضرب النقد منهم في القرن الاول قبل الميلاد. وقد اتصف الانباط بالبأس والشمم كما اتصفوا بالبلاغة والبداهة شأن الامم البدوية

حينذلك ومما يؤثر عن احدهم تأثير قوله في الرومان وهو محصوراً منهم فصرفهم عن حصاره بخطاب القاه عليهم من اعلى حصنه . وانما لم يعمر الانباط كثيراً ولم تفدهم الحجة والبلاغة وقد اكتسحهم الرومان اخيراً في القرن الثاني بعد الميلاد ودخلت بطرا فيما دخل من بلاد الشرق في حوزة الرومان . ومن ثم تفرقت الانباط اخيراً بين الكلدان والسريان وتطورت لغتهم الارامية او العربية بتطور الايام كما تطور غيرها من اللغات .

تطور حرف الارام

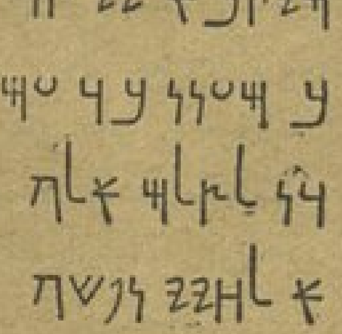
فهذه هي الارام من حيث انتشار حرفها واما من حيث تطوره فهو لم يتغير فيه شيء عن اصله الفنيقي وانما تطور في الشكل . ولم تكن الارام بعيدة عن الفنيق كثيراً ليتغير حرفها عن الفنيق كما تغير حرف الاغريق مثلا فكلاهما ساميتان الاصل وكلاهما شرقيتان في العادات وفي كل ما يضم المحيط الواحد بخلاف اليونان من هذه الناحية ومن جهة ثانية ان الارام العظيمة التي عرفها القارئ الكريم هي غير هذه الاخيرة من حيث الدولة والحضارة ليرقى حرفها بحضارتها رقي حرف الرومان مثلا ، فتلك التي مر بها القارئ الكريم لم تستعمل حرف الفنيق هذا وانما استعملت الحرف المسماري الذي كان قبله ، ذاك الذي مر ذكره في المدنية الاولى كما رأى .

فالارام هي ككل دولة عظمت ثم ضعفت وتشعبت وانما هيبة العظيم تخدم صاحبها حتى حين . فحرفهم الاخير هذا انتشر بانتشار لغتهم مع مرور الايام لا بانتشار سلطانهم ، وتطور في الامم التي اخذته عنهم لا فيهم ، وانما ظل واحداً من حيث تنسيقه او بنائه وما اشد احتفاظ الآخرين في عادات من سبقهم .

وهذه قطعة من حرف الارام الذي كتب به الانباط قبل ان يتطور شكله في الانباط شكل (٦) ويليه تفسيره شكل (٧) فانظر اليهما .

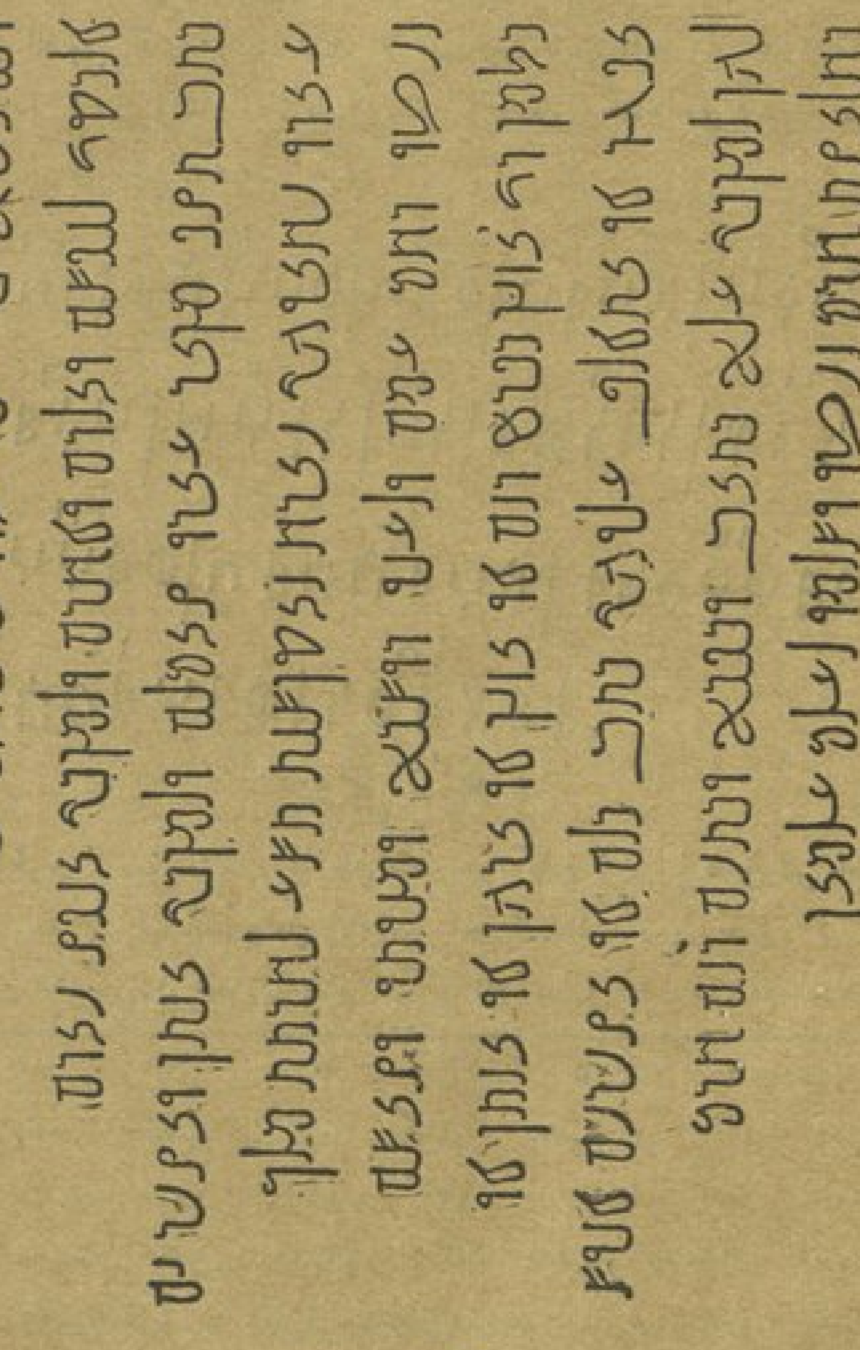


شكل (٦)



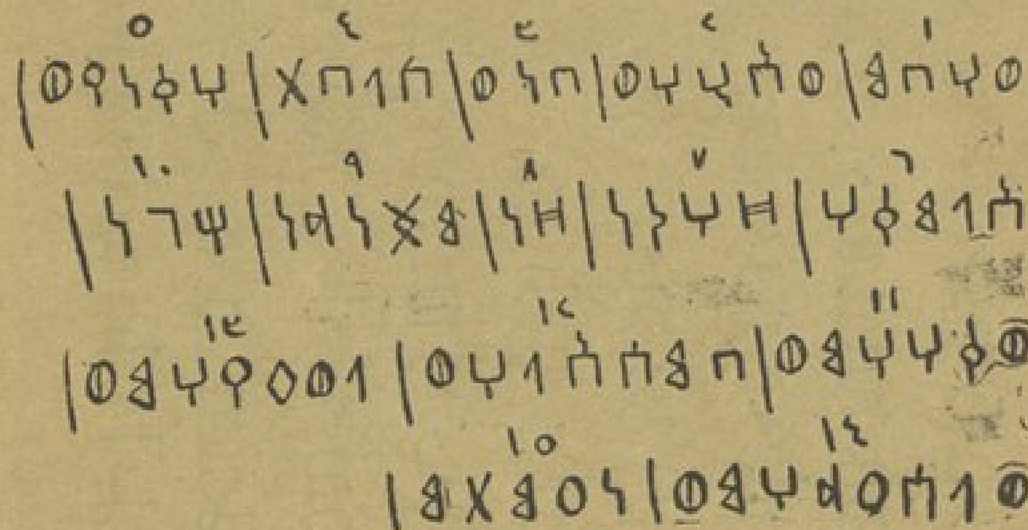
شكل (٧)

وهذه هي الاحرف التي كتبت بها الالفاظ بعد ان تطورت فيهم شكل (٨)



شكل (٨)

وهذه قطعة من حرف الارام في اليمن وهو الحرف المسند شكل (٩) فاذا اردت ان تضع بدلا عن كل حرف فيها حرفا عربياً لتقرأه كان هكذا! انظر الى الهامش (١) فترى انلا فرق في الهجاء بين كل هذه الخطوط وبين الفنيقي الذي مر بنا شكله الا من حيث شكله فقط ولا عبرة للشكل في هذا البحث وانما العبرة كلها في تغيير القاعدة وحدها اي قاعدة الهجاء وهذا لم يكن شيء منه .



شكل [٩]

فالحرف الفنيقي ما زال كما كان منذ وضعه كما ذكرنا ولم يفرق عن اصله في فروعه الشرقية ابداً ولعل الارامية المعربة حالت دون تقييده فيما لو ارادت الارام ذلك بخلاف اللغات الغربية التي يسهل تقييدها دون ان تتغير

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
(١) وهبم	واخهو	بنو	كلبت	هقينو	المقه	ذهرن
٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥

٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
ذن	مزندن	مجن	وقهمو	بمسالهم	لوفيهمو	وسعدهمو	نعمتم

اي وهب واخوه بنو كلبة « اسم قبيلة » اعطوا المقه « اسم الله » ذاهران « صاحب الموضع الذي يقال له هران » هذا اللوح من اجل ان اجابهم بما سألوه سلمهم وساعدهم نعمة .

اواخر الكلمة وهذا مما نجهله ولا يمكن تقديره . وانما الذي يغلب على الظن بان الارام جاءوا قديماً قبل الاوان اي قبل ان ينضج الانسان كثيراً فان كان هنالك من سبب فهو هذا لا سيما والمساء غير الصباح ليمكن الارام من العمل كما مكنهم في اول امرهم .

فالخلاصة ان الارام ما خرجوا عن انهم اصحاب دولة وحضارة سواء كان ذلك في مجدهم الاول او دور انحطاطهم الاخير وانما لم يقيدوا حرفهم لا في الدور الاول ولا فيما بعد . فاما ان يكونوا كالعرب قبل الاسلام في لغتهم لم تؤثر عليهم الحضارة فيها ليحتاجوا الى تقييد الحرف ، واما ان يكونوا كالعرب بعد ذلك في لغتهم ، تأثروا بالحضارة ولم يقيدوا حرفهم قيداً ملازما له وهذا كل ما نستطيع قوله في الارام وحرفهم . وقد ادرك الاديب كل ما قصده ولعلنا نعود الى شيء من هذا في دولة العرب بعد ان نمر بالقاريء الكريم في فرع اليونان ايضاً ليدرك بانلا فرق بينهما من حيث القاعدة التي ورثاها عن الفنيق .

ففرع اليونان الذي تفرع منه اللاتين وكل ما في الغرب من فروع وحروف لا بد لي ايضاً قبل ذكره من لمحة عن الغرب وتطوره قبل ان نذكر شيئاً عن تطور حرفه لتظهر لنا اسباب ميزة حرف اللاتين هذا عن حرف الارام في بعض نواحيه فاقول :

لمحة في الغرب

كانت اليونان من الغرب قديماً كما كانت مصر وبابل من الشرق وانما جاءت بعدهما في التاريخ . ولو رجعنا الى قول علماء الجولوجيا الذين يقولون بان الانسان الاول خرج من افريقيا واجتاز منها الى اسيا فاوربا كانت بلاد اليونان هي المدخل الاول له في اوربا ، واذا قلنا كما تقول علماء التاريخ الذين لا يختلفون عنهم كثيراً ، بان العالم الاري في اوربا هو فصيلة من العالم الاري في آسيا كانت كذلك بلاد اليونان هي رتاج اوربا ذاته ومدخل عالمها القديم . وعلى كل لم يختلف المؤرخون بان اليونان هم الاولون في الغرب

لقربهم من الشرق واليهم والى الرومان من بعدهم ينتهي فخارهم الاول .

فاليونان هي احدى المدنيات الثانية التي كانت معاصرة لبعضها فيما قبل القرن العاشر قبل الميلاد ولكن بعد ان مرت باعصر قديمة مجهولة شأن سائر العالم قبل التاريخ . والزمن الذي بدأ يرسل اليها نوراً من ناحية معروفة في الشرق قبل نهضتها ، كان يرسل الى ناحية اخرى في الشرق باسها والعظمة ، والناحية الثانية هذه هي اختها الآرية قبل زمن التاريخ واضعة كسرى ومن جاء قبله او بعده من الفرس .

تلك الامة الفارسية التي ما بلغت اشدها في القرن السادس قبل الميلاد ، حتى التفت على جارتيها آشور وبابل وتجاوزتهما الى هذه الاخيرة بعد ان قضت على ليديا في آسيا الصغرى ، وكانت بعد ذلك سيدة مطلقة في آسيا الغربية ووادي النيل .

ولهذه التي القت على الاغريق درسها المريع وحركت اعصابها حتى قيض لها الاسكندر وكان له ما اراد .

فالفرس هم الذين امتدت سطوتهم الى الغرب قبل ان يمتد الغرب الى الشرق ، فكأنهم كانوا سبباً لدفع الاغريق الى السيادة او المدنية بعد ان آن دور هؤلاء وجنحت الشمس اليهم من مشرقها وكانت فيهم وفيمن بعدهم حتى ظهور الاسلام .

فمن عهد الاسكندر في القرن الرابع قبل الميلاد يبتدأ تأخر الشرق المتوغل في القدم والتمدن ، ولذاك القائد المكدوني الطموح هو الذي سلب الشرق مدنيته الاولى ، تلك المدنية التي ما لبثت ان تحولت الى الرومان في القرن الثاني قبل الميلاد ، وكانت من الغرب مكان الاساس من البنيان .

ولان استرجعت الفرس مكانتها فيما وراء الفرات بعد الاسكندر ، غير انها لم تصل الى ما وصلت اليه الرومان من الشرق ، لا سيما في النظام والادارة والفنون الجميلة من حفر وتصوير وغير ذلك ، هذه التي لها علاقتها الكبرى في شكل الحرف وتقييده كما سيأتي .

ولان اظلم الغرب بعد ذلك ، او ضعفت الرومان باستيلاء الجرمن عليه

من جهة وبظهور الاسلام في الشرق من جهة ثانية ، غير انه ما عتم ان استمد نوره ثانية من الشرق باحتكاكه به في الحروب الصلبية المتوالية ومن الغرب الجنوبي حيث كانت اصحاب العمائم في الاندلس تدرس من على المنابر ابناءه . غير انه خسر لغته اللاتينية في هذه القرون المظلمة التي اجتازها ، بما تطرق اليها من الفساد حتى خرج منها مستعملوها اخيراً الى لغاتهم او لهجاتهم المتفرعة منها ، بعد ان ظلت اللاتينية لغة التدوين عشرين قرناً الا قليلا .



شكل (١٠)

﴿ العرب تدرس الفرنجة في اوربا ﴾

نهضات الغرب

فالغرب نهض باليونان والرومان في نهضته الاولى ومن ثم نهض في القرن الثالث عشر اثر احتكاكه بالشرق كما ذكرنا وانما ظل يؤلف باللاتينية وحدها رغم زوال سلطان الرومان او باليونانية احياناً لغة العلم الاولى حتى

نهضته الحديثة هذه في القرن السادس عشر ، هذه النهضة التي خرجت فيها كل امة على تقاليدها القديمة واستعملت فيها لغتها الحديثة التي لا عهد لها في التدوين سابقاً بدلا من اللاتينية ، مندفعة الى ذلك بعامل الاضطرار وحده ، لما بعدت من اصلها اللاتيني كما بعدت لغة العرب العامية من الفصحى الان ، وانما احتفظت كل امة من هذه الامم بحرفها اللاتيني بعد ان عدلت به ايجابا لها ، حتى اختلفت اصطلاحا بعد ان كان واحداً في الاصل وهذا الذي سنصل اليه .

تفرع الحرف الفنيقي في الغرب

فالحرف الفنيقي اخذته اليونان اولا ومن اليونان اخذته الرومان ومن الرومان الجرمن ومن الجرمن اللاتين ومن هؤلاء كل اوربا فالغرب جميعه .

وكل ما وصل اليه حرف اللاتين او حرف الغربيين من التحسين ، هو انه توسع في الاحرف الصوتية او احرف العلة علاوة عن الشرقيين وذلك ايجابا للغة لاختلاف الغربية منها عن الشرقية ، وقد كان ذلك في الحرف الفنيقي وانما كان يستعمل في مد اللفظ فقط كحرف العرب في صدر الاسلام هذا من حيث الهجاء ، واما من حيث الشكل واختلافه عن الارامي او ميزته من هذه الناحية فذلك لسبب آخر لا بد من تعليله في كلمة عن الحضارة والطباع ، الانسان الفطرية والاكتسابية فيها ، لعلاقة الحرف في هذه الناحية من حيث ميزته في شكله وتقييده ، فيدرك الاديب ما نقصد قوله اجتنابا للتطويل في هذا البحث فاقول :

الحضارة

الحضارة تختلف عن بعضها باختلاف زمانها ، وقدرها كما هو معلوم . وهي جامعة الصفات المتباينة ومدينة النشؤ والتطور ، ومن شأنها ان تقلل ما قبح في الانسان من جهة ، وتكثر ما حسن فيه من جهة اخرى ، على انها لا

بد ان تسؤ الى ما حسن في الانسان نادرة ، كما انها تزيل كثيراً مما فطر عليه احياناً ، وذلك لما تسترق الطبائع من بعضها من صفات ، ولما يحدث فيهامن سيل جارف قتال ، او نعيم خالد في الحياة .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، لا بد لكل انسان من صفات فطرية مخلوقة فيه ، واكتسابية علقت به ، والاولى هي التي تكونت الحضارة منها وهي امها الاولى لانها عريقة في الانسان ، والثانية هي ما انتجته الحضارة من الصفات ، بعد ان خالط الانسان فيها الانسان ، فهي بنت الحضارة وام الاعمال الشائعة . والفطرية الاولى هذه مختلفة في الانسان عن بعضها بقدر اختلاف الانسان عن بعضه في ظواهره ، ولهذا اختلف الانسان بها عن الاخر في اخلاقه واعماله وبيئته كما هو معلوم . وهي اس او مبعث لما يلائمها من الاعمال ، مهما اختلفت الاعمال وتعددت او اختلفت وتنوعت هي . فالذي فطر على البلاغة والجرأة مثلا وزوال الخطابة والقيادة لهو ذلك الخطيب الذي لا يبارى او الفاتح الذي لا يرد ، وبعكس ذلك فيما لو زاول الصناعة والرسم كما لا يخفى فانه لا يسود فيهما قط كما يسود بهاتين المهنتين الخطابة والقيادة ، وذلك لان الفصاحة والجرأة لا تصلحان بان تكونا مبعثاً للصناعة والرسم مثلا كما يصلح ان يكون الذكاء وحسن الذوق في الفن مبعثاً لهما .

والصفات الاكتسابية الاخرى هذه التي اوجدتها الحضارة في الانسان بالمزاولة والممارسة ، او اوجدتها الثقافة ، او استرقها الطبع هذه التي نراها في الخطيب اذا خطب والحاكم اذا حكم ، ونراها في الفنان والصانع والمدرس وفي جميع الطبقات ، هي ثمرة من الاولى بل هي نفسها فيما لو كانت كل صفة منها قائمة على ما يصلح لها من الصفات الغريزية كما ذكرنا ، وانما تخالفها فيما لو كانت بخلاف ذلك وتعد اكتسابية فيه .

وميزة الاكتسابية هذه عن الفطرية ، انها شائعة بين عموم الناس ، لا ترد طالباً ما بخلاف الفطرية التي تختص ببعضهم دون آخرين .

غير انهما كلاهما يستمدان قوتيهما من الحضارة ويتغذيان منها كما يمدانها

ويغذيانها بعد ذلك . وهكذا دواليك حتى يقضي الله امراً كان مفعولا .

ومن هنا عظمت المواهب الفطرية في الانسان وتميزت فيه عن الصفات الاكتسابية بعد ان زاول اعماله في الحضارة ومارسها ، فمتى رأينا فناناً نابغاً في تصويره مثلا ، حكمنا له في اللباقة وحسن الذوق المفطور عليهما فوراً ، واما اذا كان بعكس ذلك ، حكمنا في لباسه لغيره ووددنا له عملا آخراً يلائم ما فطر عليه .

هذا من جهة ومن جهة ثالثة ، الحرف في شكله وتنظيمه مما يعود الى الصناعة والفن والى حضارة مستعمليه وميزتها عن بعضها من جهة والى طبائعهم الفطرية وميزتها عن بعضها ايضاً من جهة اخرى . فحضارة الرومان او من جاء قبلهم او بعدهم من اليونان والغربيين ، لا تحتاج الى تعريف من هذه الناحية اي من حيث ميلهم الفطري الى النحت والتصوير وما اشبه ذلك لا سيما بعد اعتناقهم النصرانية واندفاعهم الكبير الى تصوير الآلام وتمثيلها فهم بعكس الارام من هذه الناحية لا سيما العرب بعد الاسلام .

فميزة حرف اللاتين عن حرف الآرام او العرب من حيث شكله هي لهذه الاسباب وحدها وللآرام او العرب عذرهم الطبيعي من هذه الناحية .

واما من حيث تقييد الحرف ، وادخال الحركة او الاحرف الصوتية في صلب الكلمة ، تفريقا لصوت الحرف علاوة عن الفنيقين ، فتلك التي تميزت الامم بها عن بعضها ، وكان الاسبق اليها من شعر بحاجة اليها فاستعملها كالرومان ، واستغنى عنها من انس في نفسه قوة لغوية واعتد بها كالارام ، اولئك الذين البسوا حروفهم حلتها اللفظية دون ان يلحقوا بها شيئاً .

فالرومان او الارام وان عرفت كل منهما بالبلاغة وقوة العارضة ، وانما امتازت الارام بقوة اللغة من هذه الناحية ، كما امتازت الرومان بالنظام وحسن الترتيب في كل اعمالهم الا في الحرف وحسب ، بل امتاز الغربيون من حيث هم من هذه الناحية عن سواهم ، ولنعم الوراثة هذه التي اخذوها عن اسلافهم الاولين .

وانما مع كل ذلك لم يصل الرومان او الغربيون الى الغاية المثلى في

ترتيب حرفهم الذي ما زال يفتقر الى مرحلة اخرى ليكون كما يتطلبه الانسان على اختلاف لغات الانسان ، وذلك لانه ما زال يختلف عن بعضه اصطلاحا باختلاف للغات التي تستعمله من جهة ، ولانه ما زال يتأول ويفتقر الى التقييد في بعض نواحيه . والحرف الذي لا عيب فيه ، هو الذي لا يختلف اصطلاحه عن بعضه باختلاف اللغات ، والذي لا يتأول قط اويلتبس حرفه بصوته ، والذي لا حاجة معه الى الهجاء في قراءته بعد ان تعرف الف باءه ، والذي يحفظ اللغات حتى الابد ويكون عوناً لها في رقيها . هذا اذا كان القصد من الحرف نشره وتعميمه كما بينا ذلك في تشريح الحرف .

ولان اردنا معرفة اسباب اختلاف العرب عن اللاتين في الحرف بعد ان كان واحداً في الاصل ، ومعرفة اسباب النقص والخلل في كل منهما ، وجب علينا اولا معرفة طبع الانسان المفطور عليه منذ القدم والذي ما زال مفطوراً عليه حتى الان ، وهو حب الاختصار والتسهيل في كل اعماله ، وباختلافه رأياً وراء ذلك اختلفت اعماله عن بعضها من جهة ، وجاءت عليلة ومشوشة من جهة اخرى ، فحصل النقص هذا في حرفه ، والناقص اخو الزائد كما يقال . وهذه حقيقة لا خلاف فيها ولا جدل .

فالسبب الصحيح الملموس في اختلاف الحرف عن بعضه ، جاء عن هذه الطريق وهو السبب الوحيد في اختلافه عن بعضه منذ الازل ، بل السبب الوحيد في نقص الحرف وشذوذه .

ما كانت اللغات الكثيرة لتكيف الفاظها بالسهولة التي يتطلبها الانسان احرف لم يراع فيها النظام والتدقيق المطلوب ، ويميز فيها بين جزء الكلمة من جزء الحرف . فسواء كان العرب او اللاتين او اليونان والارام قبلهما ، لما لم يخرج كل منهما عن الاصل الفنيقي القديم في صيغ الكلم ، او لما لم يخرج كل منهما عنه في اختصار الحرف ، حصل لكل منهما هذا الاختلاف عن الاخر من جهة ، كما حصل في حرف كل منهما نقص او خلل لهذا السبب من جهة اخرى .

فالحرف هو صورة الكلام بمجموعه ، وجزؤ منه بمفرده ، والحركة هي جزؤ الحرف ولا يجوز لها ان تقوم مقامه . فلو راعى الانسان هذه القاعدة الطبيعية فيه ، لسهل عليه فهم الحرف كثيراً ، ولاستطاع ان يقرأ كل منا اي لغة كانت بعد ان يعرف الف بائها فقط ، فيما اذا كان حرفها منظما كما نريده او كما جاء في هذا الاصلاح .

فحرف اللاتين لم يكن حرفا تاما حين خرجت امم الغرب من اللاتينية كما رأيت واستعملت لغاتها هذه بدلا منها في التدوين ، ولو كان تاما لما احتاج مستعملوه الى تعديله في تكييف اصواتهم حتى في اللغات التي اشتقت من اللاتينية نفسها ، كالافرنسية والبرتغالية وغيرهما ، وهو ما زال قاصرا من هذه الناحية ومحدوداً برغم مستعمليه على مصطلحاتهم هذه العقيمة . فالاسباني الذي لم يدرس الافرنسية مثلا ، هو لا يستطيع قراءتها مع معرفته الحرف الا بعد ان يقف على قواعدها او اصطلاح قراءتها . وهكذا يكون حرف العرب ايضاً فيما اذا اراد مستعملوه ضبط لغاتهم به او فيما اذا قدر على العربية ما قدر على اللاتينية واستعملت العرب لهجاتها .

وانما علة العربية حرفها هذا وحده ، فأما ان يقضي عليها فيغيرها اخيرا ، واما ان تقضي عليه فيما اذا لم يتدارك شأنه .

فقد رأيت ان كل ما حصل من التطور في حرف اللاتين لم يخرج عن شكله والاحرف الصوتية التي ضمت اليه على ان هذه اي الاحرف الصوتية كانت في اصله الفنيقي القديم وهو المد الذي نلمسه في حرف الفنيق كما وضعه الفنيق ، هذا المد الذي ميزه الغربيون عن الحركة او الحرف الصوتي الذي اضافوه بان جعلوه اشارة باعلى الحركة تميزاً للحركة عن المد فكأنهم لم يخرجوا عن الاصل الفنيقي في ذلك ابداً الا بايجادهم نصف المد وهو الحرف الصوتي ، وليس هذا هو كل ما يحتاجه الحرف ، فالحرف يحتاج الى الترتيب والنظام الصحيح واستئصال العلة التي فيه ، ليكون كما يتطلبه الانسان كما ذكرنا

وهذا الخلل الذي ندعيه في حرف اللاتين هو لا يظهر الا بالمقابلة بينه وبين هذا الاصلاح الذي نعده متى شاء ذلك اولياء الامور .

هذا ولم يعد امامنا الا تطور حرب العرب ابتداء من دولة العرب حتى يومنا هذا اثباتاً لقولنا بان الحرف ما زال هو هو من جهة رغم تطوره في دولة العرب اكثر مما تطور في خلافها فيما بعد ، ومن جهة ثانية ليرى القارئ الكريم اهتمام العرب خلفاءها وامراءها ووزرائها بتقييد الحرف واعجامه صوناً للغة وحفظاً لها حينما كان للعرب سلطانهم ولغتهم التي يحافظون عليها .

فابدأ والحالة هذه بلمحة في انسابها وقبائلها ايجابا للبحث ، ومن ثم العرب الجاهلية قبل الاسلام وحياتها وصفاتها وبداوتها حتى ظهور الاسلام واستعمالهم الاقلام حينذاك وما طرأ على اللغة بعدها وما تطور اليه الحرف بتطور الالسنة ، وما هي حالة العرب اليوم وما تحتاج اليه ، وذلك تمهيداً لكلمة اخيرة تبرر ما نقوم به من العمل من جهة ولكي نحتكم اخيراً الى القارئ الكريم في وجوب اصلاح الحرف او عدمه من جهة اخرى ، رغم ان العمل الصالح لا حاجة معه الى برهان معروف . وقسمت ذلك الى ثلاث مراحل . الاولى العرب في الجاهلية حتى ظهور الاسلام ، والثانية تطورحرف العرب بتطور لغاتهم ، والثالثة حالة العرب الحاضرة وما تحتاج اليه العرب .فابتدأ بالاولى منها فاقول :

﴿ جزيرة العرب ﴾

جزيرة العرب هي مهد العرب الاول ومبعث العرب قبل التاريخ وبعده وما زالت العرب فيها خيرة العرب حتى الان ، وستبقى ملجأها وعرينها الذي لا يقتحم حتى الابد . ومن الاوربين من يقول باقدمية انسانها على سواه وباقدمية مدنيتها ايضاً وبان المصريين عنها اخذوا عناصر المدنية الاولى وانما حظها من التنقيب كان قليلا نسبة الى غيرها ولعلها ستبحث عن تاريخها ومدنيتها بمعاولها وتديرشئونها برجالاتها الا بمن يلجأ اليها .

﴿ العرب قبل التاريخ ﴾

اما العرب قبل التاريخ كعاد وثمود ، وطسم وجديس ، وعمليق وجاسم ، وغيرهم فقد ضاعت اخبارهم ونحن لا حاجة لنا الى شيء من هذا البحث وجل ما نريده ، هو ان نفرق بين عرب اليمن والحجاز من حيث المدنية القديمة لتظهر لنا بداوة عرب الحجاز ، وبلاغتهم وفصاحتهم وميزتهم من هذه الناحية ، وليظهر تأخرهم في الصناعة والحضارة من جهة اخرى ، وذلك لعلاقة الصناعة في شكل الحرف وتقييده الذي هو بحثنا ،هذا الحرف الذي يبتدأ فيهم بظهور الاسلام فاقول :

﴿ قبائل العرب وبطونها قبيل الاسلام ﴾

ادرك الاسلام العرب وهم الى قسمين كبيرين قحطان في اليمن ، وعدنان في الحجاز ، وقحطان اقدم من عدنان في المدنية ومنهم حمير والتتابعة ، ومن التبابعة بلقيس في القرن العاشر قبل الميلاد . وقد حكمت اليمن الحجاز حتى استقلت اخيراً بقيادة كليب على ربيعة قبل الهجرة ، وقبيل انفجار السيل في القرن الثاني قبل المسيح ، تركت اليمن قبائل معروفة في التاريخ كاللخميين في الحيرة ، والاوس والخزرج في المدينة ، والغساسنة في الشام ، والازد في منا ، وخزاعة في جوار مكة .

فعدنان في الحجاز ، منها معد ومن معد نزار ومن نزار سيد العرب وانقسمت نزار الى ربيعة ومضر فسكنت ربيعة (١) العراق ، ومضر (٢) مكة ولكل من هذه البطون سمة خاصة بها . فكانت مضر مشهورة في بلاغتها ، وربيعة بفروسيتها ، والى غير ذلك مما يدلك على بداوة العرب وميزة كل عشيره منها .

---

(١) ومن بطونها اسد وجديلة ، وتغلب وبكر ، وضبيعة وعنزة وغيرها

(٢) ومن مضر نزار اهل الغلبة في مكة ولهم الرآسة فيها ومنها قريش وتشعبت قريش الى خمسة وعشرين بطنا منها بنو هاشم وعبد مناف .

عرب الحجاز من حيث حياتهم

فعرب الحجاز قبل الاسلام، اولئك الذين اتصفوا بالنجابة والبلاغة، والبداهة والفصاحة، والبسالة والشمم، والمروءة والكرم. كانت دنياهم البادية، حيث المها والظبا، وحيث سبح الجنائب، ورزقهم الماشية والغاره، وعدتهم الخيل والسيوف وعلمهم الفروسية والقول.

عرب الحجاز من حيث ادبهم

كانوا ينظمون الشعر في حربهم وسلمهم، في رحيلهم واقامتهم، ويتأثرون بابلغه، ولربما اوقدوا بينهم بيتاً من الشعر المؤثر. ولشدة شغفهم بذلك كانت لهم اسواق للآداب يضربون اليها غوارب الابل من اقاصي الجزيرة ويحيونها اياما وشهوراً. اشهرها عكاظ (١) في الطائف حتى بلغ بهم ان علقوا قصائدهم في بيت دينهم الكعبة وسميت بالمعلقات تعظيما للشعر والبلاغة وهذا مما تفردت به العرب وحدها بين الامم، ورفعت الى جانب آلهتها البلاغة. ومن قولهم المأثور، المرء باصغريه قلبه ولسانه ندرك كيف انهم كانوا ينظرون الى الحياة وكفى. وجل تاريخهم كان يدوك من شعرهم عن طريق الرواة، صحائف تلك العصور، اذ لم يكن هناك قلم وتدوين. فمتى قرأنا في الادب عن الراوية والاصمعي، وابي تمام وغيرهم، وما كانوا يحفظونه

واشهر القبائل العدنانية غير ما تقدم، خزيمة وكنانة، والنضر وشيبان وهوازن وقيس، وسليم وغطفان، وذبيان وسقيف، وعقيل وتميم، وكلاب وهلال وعبد القيس وغيرها.

(١) عكاظ هي صحراء تقع ما بين الطائف ونخلة، كانت تؤمها العرب في اول ذي القعدة وتتركها في العشرين منه الى مكة فيقضون مناسق الحج ومنها الى اوطانهم. وكان للعرب ايضاً اسواقا يقيمونها في اشهر السنة وينتقلون من احداها الى الاخرى ومجالساً يجتمعون فيها لمناشدة الاشعار. منها نادي قريش، ودار الندوة، وبالاختصار كان العرب حيثما اجتمعوا تناشدوا وتفاخروا كما يعلم الاديب.

لهم من الاف القصائد (١) ، ادركنا استرسالهم الغريب في الشعر ،وحكمنا لالسنة العرب حكمنا في سيوفهم .

فعرب الجاهلية ، رجالا كانوا ام نساء ، شيوخا كانوا ام غلمانا ، لا فرق بينهم من حيث اللغة والاعراب . وذلك لانهم عرب خاص ابناء بادية شديدو التمسك بلغتهم التي نشوا على فصيحها ، يعربون كلامهم حسب المعاني والقصد لملكة اللغة فيهم ، مثلهم كمثل السواد الاعظم في هذا العصر هؤلاء الذين يستعملون النبرة في اللسان عوض الاعراب فيتفاهمون .

﴿ خطهم او حروفهم ﴾

عرب الحجاز ، بل عرب الجاهلية من حيث هم ، لم يستقم او يحسن خطهم او حرفهم ، الا بعد الاسلام وبعد ان توسعت العرب في الفتح وخرجت من الحجاز الى الشام والعراق ، وسائر الاقطار كما هو معروف .

فنحن ولان وصفنا عرب الجاهلية بالبلاغة وملكة اللغة والى غير ذلك من الصفات المعروفة عنهم ، فاننا لم نفعل ذلك او لم نذكر ما هو معلوما عنهم لو لم يكن هنالك من سبب يدعو اليه ، لتسهل علينا معرفة اصل الخلل في الحرف ومن اين اتى وكيف فاقول :

كما ان البداوة في عهد الجاهلية كانت هي الباعث الاكبر لفصاحتهم وبلاغتهم كما ذكرنا ذلك ، وكذلك البداوة كانت هي نفس الباعث الاكبر لعدم انتظام حرفهم هذا الذي كانوا يستعملونه . وذلك لان ملكة اللغة التي

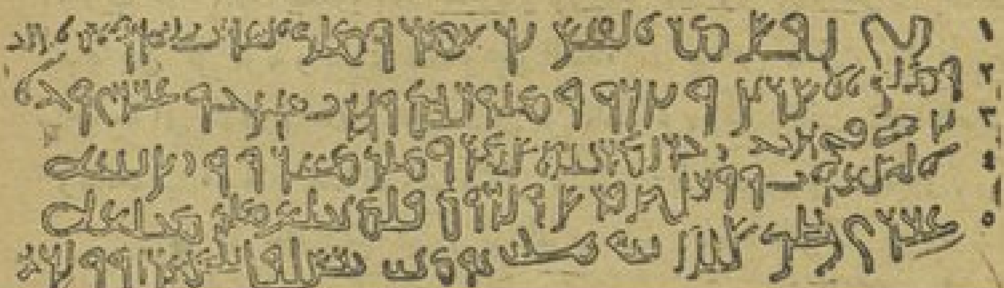
---

(١) كان ابو تمام يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة غير القصائد والمقاطيع وحماد الراوية يحفظ سبعة وعشرين الفاً ، والاصمعي يحفظ ستة عشر الفاً وغير هؤلاء مما يعرفه الاديب ولان فرضنا ان في الرواية مبالغة او زيادة مهما كانت ، فعلى كل حال ليست آلاف الالفيات بالشيء اليسير فلا نسبة بين العرب واليونان شيوخ الغرب من هذه الناحية اولئك الذين يفتخرون بالالياذة مثلا وللعرب من امثالها الكثير الكثير .

كانوا يتمتعون بها منذ جاهليتهم خلفاً عن سلف ، جعلتهم لا يشعرون بخلل الحرف الذي كانوا يستعملونه في ايام جاهليتهم حتى ظهور الاسلام.

ومن ثم بقدر ما كانت ملكة اللغة حاصلة لديهم بسائق البداوة هذه ، فكذلك كانت صناعة الاحرف بعيدة عنهم بسائق البداوة نفسها ، ولذلك لما ظهر الاسلام فيما بعد وهبت العرب الى الفتح بالسيف والسيف من متاعهم ، احسنوا العمل به في الوقت الذي لم يستطيعوا ان يصونوا لغتهم بالقلم الذي ليس من متاعهم .

واليك اكبر دليل على سوء انتظام حرفهم حينذاك ، هذا الخط الذي وجد على قبر امرئ القيس بن عمرو احد ملوك لخم شكل (١١) هذا الذي يرجع تاريخه الى (٣٢٨) سنة من ميلاد المسيح . وقد عثر عليه في خرائب النمارة بحوران . مع ايضاح كل سطر على حدته وتفسيره فانظر الى الهامش (١)



(١) «١» تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو اسر التاج
«٢» وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجاء
«٣» بزجو في حبج نجران مدينة شمرو وملك معدو ونزل بنيه
«٤» الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه
«٥» عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسول بلسعد ذو ولده

تفسيره ـــ هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي حاز التاج وتملك الاسدين ونزارا وملوكهم وهزم مذحجا اليوم وجاء بغنائم في مجتمع نجران مدينة شمر معدا وانزل بنيه الشعوب ووكله الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه اليوم هلك سنه ٢٢٣ في يوم ٧ من ايلول فليسعد الذين ولدهم

﴿ ظهور الاسلام ﴾

وهكذا العرب حتى انبق من افقهم فجر الاسلام ، وظهر الرسول يتلو كتاب ربه ، ويدعوهم الى الحق باياته البينات . فالتفت حوله العشيرة وقالوا كلام الله وكان الاسلام في بضع سنين .

هكذا ابتدأ الاسلام وباعثه الاكبر البلاغة سيدة القول عندهم ، وتلك التي تغلب بها سيد العرب حتى اهتدوا وتركوا ما كانوا يعبدون .

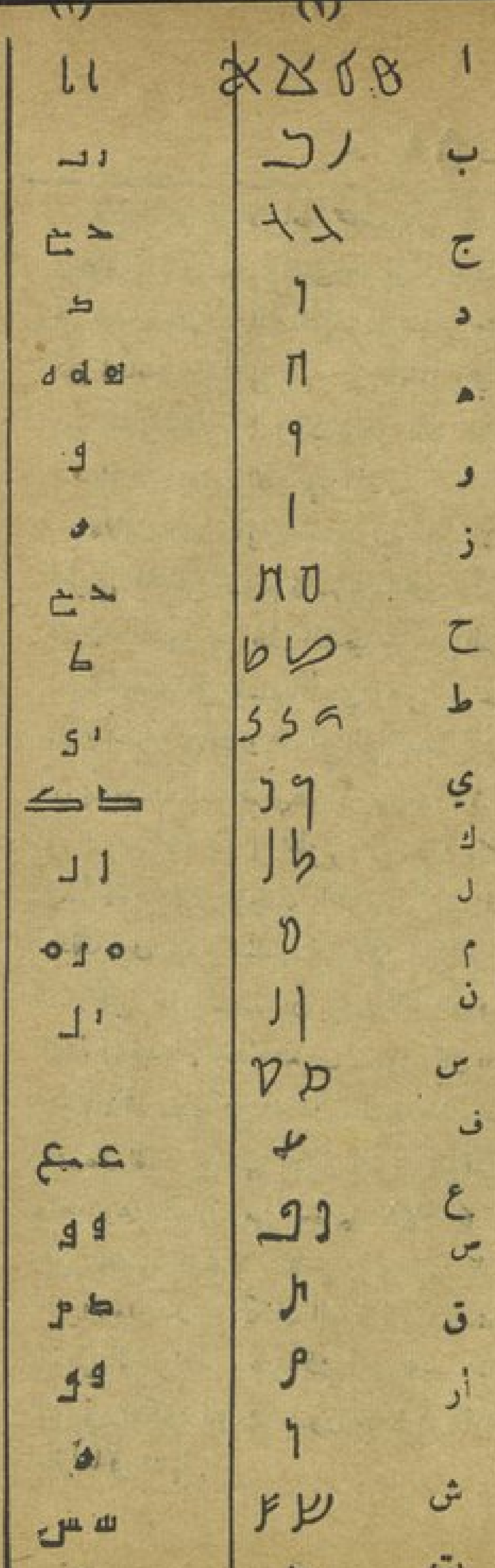
ابتدأ منذ سمعت العرب كلاما ابلغ من كلامها وعدته معجزة والمعجزات من صفات الانبياء ، كما اعتبره الذين في قلوبهم مرض سحراً فقاوموه ، حتى ظهر الحق وذهق الباطل والحق خير نصير .

هكذا ابتدأ الاسلام ، وهكذا ازداد المسلمون ، وهكذا عظم شأن النبي الامي بين تأثير البلاغة والسيف الى ان نودي باسمه بعد الله من اعلى منابر مكة حتى اقصى الجزيرة . فعظم الاسلام بعد الجاهلية ، وبزغ فجر ماليس للعرب عهد بمثله حضارة بعد بداوة ونور بعد ظلمة ، وآيات القرآن ترسل تباعا بين كل آونة واخرى فتستوعبها الصدور ، وحين ضاقت بها ظهرت الحاجة الى الاقلام خشية على الدين من الضياع ، ولقلما كانت تألفها العرب وتستعملها ، ومنذ هذا التاريخ ابتدأ انتشار الخط العربي في الحجاز .

﴿ المرحلة الثانية تطور قلم العرب بتطور اللغة العربية ﴾

عرب الحجاز كما ذكرنا كانوا ابعد العرب عن استعمال الاقلام ، لبعدهم عن الحضارة وذلك نظراً لقحل اقليمهم المحاط بشبه صحراء تقع ما بين العراق واليمن ، فسواء كانت اليمن عاصمة حمير التي كانت تستعمل الحرف المسند الجميل ، او العراق عاصمة آل المنذر التي كانت تستعمل الحرف الحيري ، او الشام عاصمة آل غسان التي كانت تستعمل القلم الرومي ، كانت كلها ارقى من الحجاز في استعمال الاقلام وانما ظهور الدين الاسلامي في الحجاز جعلها ان تكون قبلة العرب وقدوتهم ومبعث الخط العربي فيما بعد .

فعرب الحجاز كانوا يستعملون قبل الاسلام قلمين . القلم النبطي والقلم الحيري كما سبق وذكرنا ذلك واليك هذه القطعة مأخوذة عن تاريخ الادب تمثل لك الخطين النبطي والحيري عن يساره . شكل (١٢)



شكل (١٢)

فالاول هو قلم الانباط اصحاب بطرا القدماء ومجاوريهم في العقبة وفلسطين وحوران كما رأيت . والثاني هو قلم آل المنذر ملوك الحيرة في شمالي الحجاز . فلو صدف بان الاسلام ظهر في اليمن مثلاً ، لكان القلم العربي هو غير القلم الحاضر . ولكن ظهر في الحجاز وهي تستعمل هذين القلمين وكلاهما من اصل واحد كما رأيت وهو القلم الارامي الفنيقي ، وانما اختلفا تسلسلا من اصلها الارامي هذا .

فالاول منهما وهو النبطي جاء عن الارام فالانباط فالعرب . واما الحيري فجاء عن الارام فالسريان فالحيرة فالعرب ، وهذا ما تقوله علماء الغرب الذين يناقضون من هذه الناحية مؤرخي العرب ، فمؤرخو العرب يرجعون الخط الحيري الى المسند الحميري ومنهم ابن خلدون الذي يرجع آل المنذر ملوك الحيرة الى ملوك حمير في اليمن ويجمعهم في قبيلة كندة . وقد يمكن ان يكون المسند الحميري هو آرامي ايضاً لان الارام بعد ان غلبوا على امرهم في العراق انحدروا الى الجزيرة كما رأيت وكان لهم شأنهم فيها وحضارتهم ايضاً ، وهم الذين اوجدوا الحرف المسند فيها على رأي بعض المؤرخين وذلك قبل نزوح المناذرة من اليمن الى العراق بقرون .

ونحن جل قصدنا ان نبحث القلم العربي الحاضر الذي انتشر به دين المسلمين بعد ان اخذته العرب ، سواء كان الكوفي منه سرياني الاصل او حميريا ، فما خرج عن انه من سلسلة خط الفنيقيين . فالحيري والنبطي هما الفرعان اللذان جاء منهما حرف العرب ، وقد كانت العرب تستعملهما بآن واحد وهما يبتعدان من بعضهما شكلا كما ترى ، كما انهما كانا يختلفان عن بعضهما استعمالا . فالحيري منهما كان يستعمل غالباً في كتابة القرآن والحديث والكتابة التي لها شأنها لاستواء حروفه وجمالها بخلاف النبطي الذي يختلف عنه كثيراً من هذه الناحية ، هذا الذي لم يستعمل الا في الكتابة التي هي دون ما ذكر كما سيظهر ذلك من الخطوط التي ستراها في محلها .

القراءة والكتابة في الحجاز

لقد علم الاديب ، بان العرب اهل بادية قل منهم من قرأ و كتب لان الكتابة عمل من اعمال الحضارة . فالذين كانوا يعرفونها منهم بضعة عشر انسان في مكة جلهم من كبار القوم (١) ولكن بعد ان بدأوا يستمعون الى احاديثه صلى الله عليه وسلم ، احاديثه التي جعلت طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وبعد ان اضطروا الى حفظ آيات القرآن والحديث الشريف شعروا بعد ذلك بحاجتهم الى الاقلام فاستعملوها فيما وجدوها لديهم من رقاع وعسب ولخاف وغيرها لتعذر وجود ما يصلح لما لم تألفه العرب من هذا النوع ، وبدأوا يستعملون القراءة والكتابة على بعض من عرفها منهم وعلى اسرى بدر في المدينة بعد ان فرض النبي على كل نفر يحسنها منهم تعليم عشرة من المسلمين بدلا من الفدية والجزاء . وهذا عمل لم يأته غير سيد العرب في التاريخ منذ الازل .

وبعد وفاته ورجوع بعض العرب عن الاسلام ذهب كثير من القراء في حرب الردة ، الامر الذي هال المسلمين واجبرهم على جمع القرآن من صدور الرجال ومما دون منه في الرقاع المختلفة خشية عليه من الضياع ، وقام بهذا العمل زيد بن ثابت وجمعه صحفاً على غير ترتيب بامر الخليفة الاول ايجابا لرأي الامام عمر .

وفي عهد الخليفة الثالث عثمان وكانت قد كثرت الفتوح وتفرق المسلمون في مصر والشام والعراق وفارس وافريقيا وقع الاختلاف في قراءة القرآن

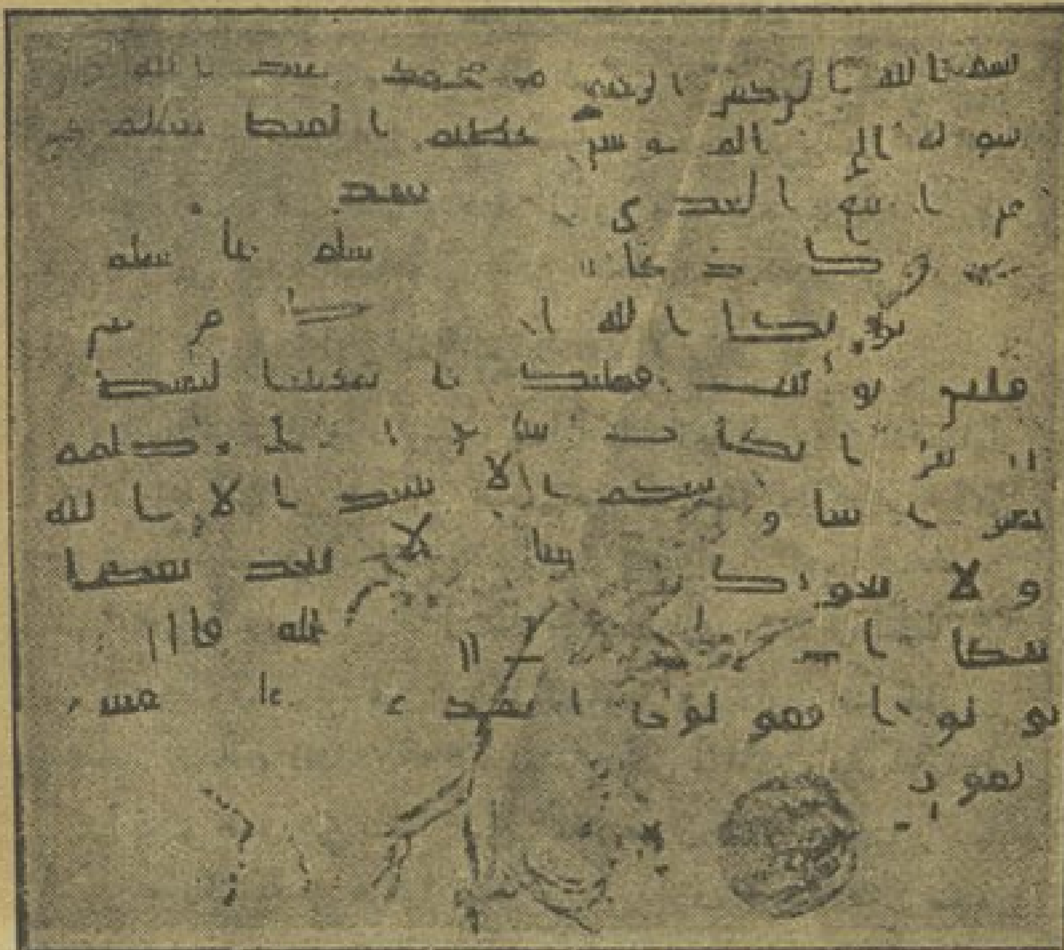
(١) هم الامام علي ، والامام عمر ، وطلحة بن عبيد الله ، وعثمان وابان ابنا سعيد بن خالد ، ويزيد بن ابي سفيان ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، والعلاء بن الحضرمي ، وابو سلمة بن عبد الاشهل ، وعبد الله بن سعد ، وحويطب بن عبد العزى ، وابو سفيان بن حرب وابنه معاوية ، وجهيم بن الصلت . (عن تاريخ اللغة العربية لزيدان .)

في هذه الامصار فامر عثمان زيد بن ثابت هذا وجماعة (١) معه بجمع القرآن وترتيبه وجعله نسخة واحدة كيلا تختلف القراءة ولولا حصول هذا الاختلاف في قراءة القرآن ، لامد بهم كره الاقلام الى زمن ابعد واقصى .

وزيد بن ثابت هذا هو كاتب النبي الذي كتب له الى معاصريه من الملوك كتب الدعوة الى الاسلام فيكون اول قرآن كتب في الاسلام هو بقلم زيد بن ثابت فانظر الى الشكل (١٣) في الوجه الثاني وتفسير كل سطر على حدته

(١) هم عبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاصي ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

وبعد انتهائهم من جمع القرآن عرض على عثمان فوجد بعض شذوذ عما يقتضيه القياس كزيادة الالف في قوله « او لا اذبحنه » وزيادة الواو ايضاً في قوله « ساوريكم دار الفاسقين » وزيادة الياء في قوله « بنائي المسلمين » وحذف الياء من قوله « النبين » و « الامين » وما اشبه ذلك . فقال عثمان لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لما وجد هذا الخطأ وقد اشتهرت ثقيف بالكتابة وهذيل بالفصاحة في الحجاز . وهذا مما يثبت لك بان العرب لم يحسنوا الكتابة في الجاهلية حتى ولا في صدر الاسلام . « عن تاريخ الادب لحفني بك ناصف »



بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ور
سوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على
من اتبع الهدى . اما بعد فاني
ادعوك بدعاية الاسلام اسلم
تسلم يؤتك الله اجرك مرتين
فان توليت فعليك اثم كل القبط
يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا
بعضاً اربابا من دون الله فان
تولوا فقولوا اشهدوا بانا مس
لمون

الله
رسول
محمد

ومن ثم نسخ زيد بن ثابت هذا بامر الخليفة نسخاً اخرى وارسلت الى سائر الجهات التي فتحت ، فابتدأ الخط العربي يحسن شكلا بتوالي الايام لان الجهات التي اوسل اليها ، هي بعكس الحجاز من حيث الحضارة والصناعة فسواء كانت مصر او الشام او فارس والعراق مبعث الخط الحيري فيها اناس من مجيدي الصناعة اكثر من الحجاز كما مر بالاديب .

﴿ تطور اللغة العربية بعد الاسلام ﴾

وكان الاسلام كلما ازداد توسعاً وانتشاراً كانت اللغة العربية تزداد انتشاراً معه ، وانما كانت من جهة ثانية تضعف من حيث اللغة والاعراب ، لان من خالط العرب على اثر الفتح من الموالي والمستعربين الكثيرين افسد عليهم لغتهم وخشي العرب ان تفسد السنة اولادهم وذراريهم ويتطرق الخطأ الى القرآن ايضاً وهو اساس الدين ، فاخذوا يفكرون في تدارك اللغة قبل ان يستفحل الفساد ،وذلك لان هؤلاء المستعربين من المسلمين ، وان اجتهدوا كثيراً بسائق الدين لكي يساوا العرب لغة ، غير ان للغات امتناعها لا سيما العربية هذه القائمة على حرفها المهمل ، هذا الحرف الذي لا يبعث صوته ويدرك تعليله ، غير العربي البدوي الصميم ، على حين ان اللحن الذي ظهر حينذاك ما هو شيء نسبة الى هذا اليوم . فانظر الى هذا التدارك .

ولما آلت الخلافة الى الامام علي خطيب العرب وعالمها ودفعته السياسة الى ترك الحجاز مهد العروبة واتخاذ العراق مقراً له والعراق خليط من العرب والسريان والكلدان ، عظم عليه الخطب مما كان يصل اليه من اللحن والاغلاط ، فامر الدؤلي بوضع قواعد للعربية تمنع اللسان من الخطأ .

والدؤلي هذا هو ابو الاسود العالم الكبير وقد صحب علياً دهراً في الحجاز والعراق وتولى الاحكام القضائية في عهده فوضع علم النحو معتمداً فيه على العوامل التي كثيراً ما يختلف عملها في الكلام وحاك من جاء بعده من النحويين على منواله وزادوا عليه كثيرا مما زاد في التعقيد والتشويش والتأ الى ما نحن فيه الان .

«تطور الحرف بتطور اللغة والحركة تضاف الى حرف القرآن سنة٤٥هـ»

انتقلت الخلافة الى امية بعد الراشدين فجعلت عاصمتها الشام ونظم معاوية ديوان قلمه باللغة الرومية كما كان ذلك في الشام وانما بما يتعلق بدخل الدولة وخرجها فقط واستعمل الكاغد بدلا من الرقاع فازدادت حملة الاقلام عن ذي قبل. وكان قد اشتهر ابو الاسود الدؤلي بفضله وعلمه، بعد ان وضع علم النحو كما رأيت فطلب اليه زياد بن ابيه امير العراق ان يضع طريقة او قاعدة لاصلاح الالسنة في قراءة القرآن على صفحات القرآن نفسها، وامدّه بكاتب من بني عبد القيس فامتنع الدؤلي اولا لعداوة كانت بينهما قديماً ثم عدل واجاب طلبه بعد ان تغلب زياد عليه بدهائه (١). وباشر الدؤلي عمله الكبير هذا فوراً كما يباشر الكاتب اصلاح بعض اغلاطه وقال لكاتبه: (خذ القرآن وصبغا يخالف لون المداد فاذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط نقطة فوق الحرف واذا كسرتهما فانقط واحدة تحته، واذا ضممتهما فانقط نقطة بين يدي الحرف بهذا الكلام)واخذ يقرأ والكاتب يضع النقط بآخر كما امره حتى اعرب القرآن على هذا النمط، واخذ الناس عنه هذه الطريقة او السنة ولكن قلما كانوا يألفونها كما هي الحالة اليوم.

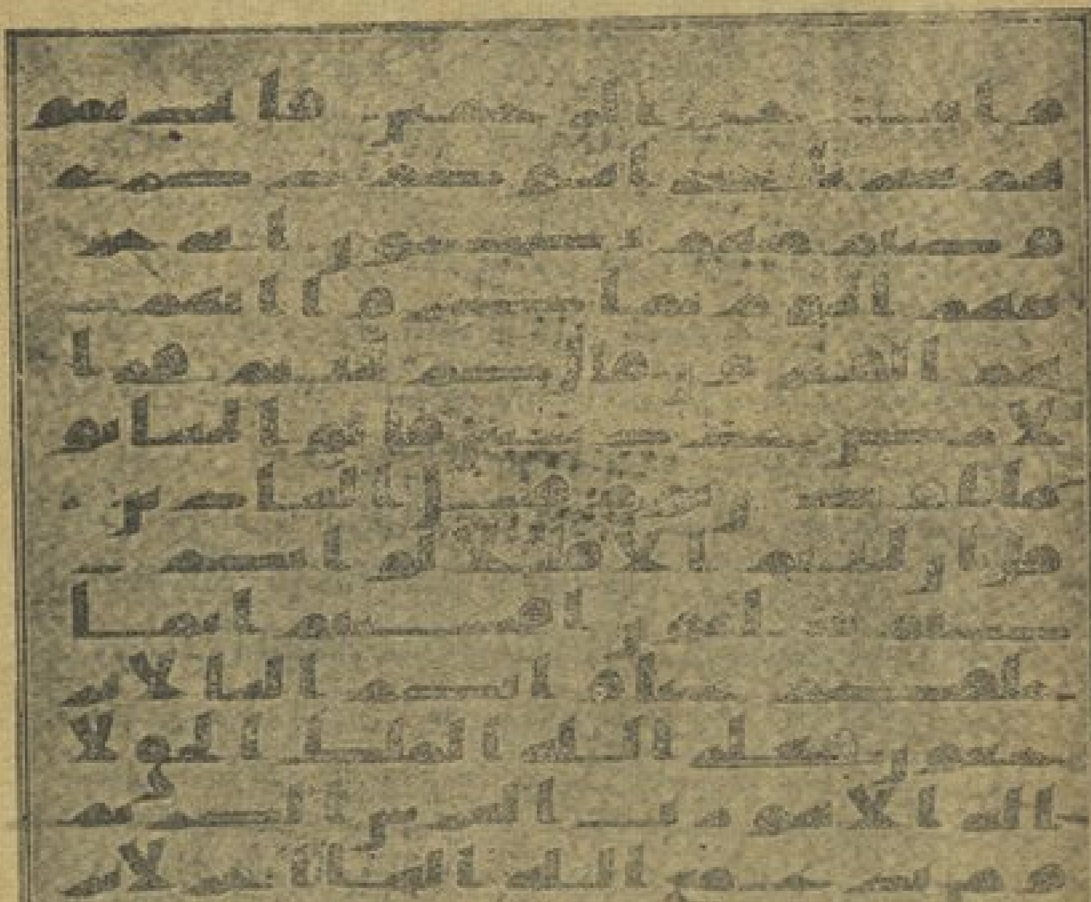
ولو راعينا الحقيقة الواضحة فى هذا التدارك، لوجدنا هذه النقط التي اضيفت الى حرف القرآن لاجل حفظه من اللحن، هي كافية لنا بان نتخذها حجة لدفع اعتراض كل من يهاجمنا من هذه الناحية من جهة، ومن جهة

(١) ادرك زياد بن ابيه بان لا بد من موجب يدفع الدؤلي الى ما يريدمنه فامر احدهم بان تعمد اللحن في قراءة القرآن حينما يمر ابو الاسود عائداً الى داره. ولما لم يجب وعاد من حيث اتى سمع المتعمد اللحن يقرأ «ان الله بريء من المشركين ورسوله» بكسر اللام. فاعظم ذلك ابو الاسود وقال عز وجه الله ان يبرأ من رسوله. وقفل راجعاً الى زياد وقال له ابغني كاتباً فقد اجبتك الى ما سألت فبعث اليه ثلاثين كاتباً فاختار منهم واحداً وباشر في عمله. فانصف ايها الاديب.

ثانية ، لنا نحن ان نحج المعترضين في واضعها وذلك لان هذه القاعدة اساسية في تقييد الحرف ، وضعها عالم لغوي راعى بها اللغة فقط ولم يضعها عالم بالكتابة او الصناعة ، لئلا ليراعي بها السهولة في استعمالها فتستعمل .

واليك هذه الصفحة من مصحف كتب في القرن الثاني للهجرة شكل (١٤)

شكل (١٤)



بعد ان تحسن الخط في العرب وهي خالية من نقط الاعراب . وهذا مما يدلك على نفرة العرب من استعمال النقط التي وضعت حتى انهم لم يستعملوها في القرآن حينذاك وتليها صفحة ثانية مشكولة على طريقة ابي الاسود الدؤلي بالنقط الحمراء كتبت في القرن الثالث للهجرة شكل (١٥) فانظر الى هذا التطور الظاهر في الحرف .



شكل (١٥)

الاعجام يضاف الى حرف القرآن سنة ٨٠ هـ

دولة امية اشد العرب تعصباً للعربية بعد الراشدين ومع هذا لم تستطع امية دفع تيار العجمة لا بتشكيل القرآن ولا بالاعجام ، وذلك لان المرض مثلا اذا اشتد في امة من الامم ، يحتاج الى تسهيل طرق المداوات لاجل الاستأصال ، وهذا مما لم تستطعه امية في عصرها . فسواء كان الشكل الذي وضعته لتقييد الحرف حينذاك ، او الاعجام الذي وضعته لتمييز الاحرف عن

بعضها فيما بعد ، كان غير مرغوب فيهما لسببين . وهما صعوبة استعمالها لكثرة النقط من جهة ولاختلاف المداد عن بعضه من جهة ثانية . ولذلك قلما استعملت العرب الشكل او الاعجام الا بعد حين .

فالامويون بدلا من ان يصلحوا الحرف في الاساس ، نراهم يقدمون على الخطأ الثاني باعجام الحرف وزيادة نقطه على ما في الحرف من نقط الاعراب. فاصبحت الكتابة نقطاً فوق نقط وكل هذا لحفظ اللغة من اللحن فانظر الى هذا الاهتمام العظيم . ففي عهد الخليفة عبد الملك امر والي العراق الحجاج بن يوسف نصر بن عاصم الليثي ويحيي العدواني وهما ممن قرأ على الدؤلي قواعد اللغة ، ليفرقا بين الاحرف المتشابهة فاتما ذلك بوضع نقط الاعجام بصبغ آخر فصار القرآن يكتب بثلاثة الوان من المداد . الحرف بلون ونقط الاعراب بلون ، ونقط الاعجام بلون آخر ايضاً وفي الاندلس كانت الالوان اربعة بزيادة نقطة الهمزة فانظر .

فكما قلنا في الدؤلي عندما وضع نقط الاعراب نقول في تلميذيه ايضاً بوضع نقط الاعجام . وذلك لانهما ما خرجا عن كونهما عالمان في اللغة وحسب وللصناعة اربابها ، ولاستطاعا لو كانا من ارباب الصناعة والفن ان يميزا الحروف بعضها عن بعض بطريقة صالحة لا بهذه النقط الكثيرة التي وضعاها عثرة في سبيلنا .

كما واننا لنا حجتنا من الناحية الثانية اي اضافة هذه النقط الى الاحرف العربية التي كانت خالية منها ، وذلك لان الضرورة التي دفعتهم الى احداث ذلك هي نفسها التي تدفعنا الى ما يرفع الضرر فلو قمنا نحن مثلا بتمييز هذه الاحرف المتشابهة بغير هذه النقط التي لا تصلح ، لا نكون من المخالفين او الشاذين .

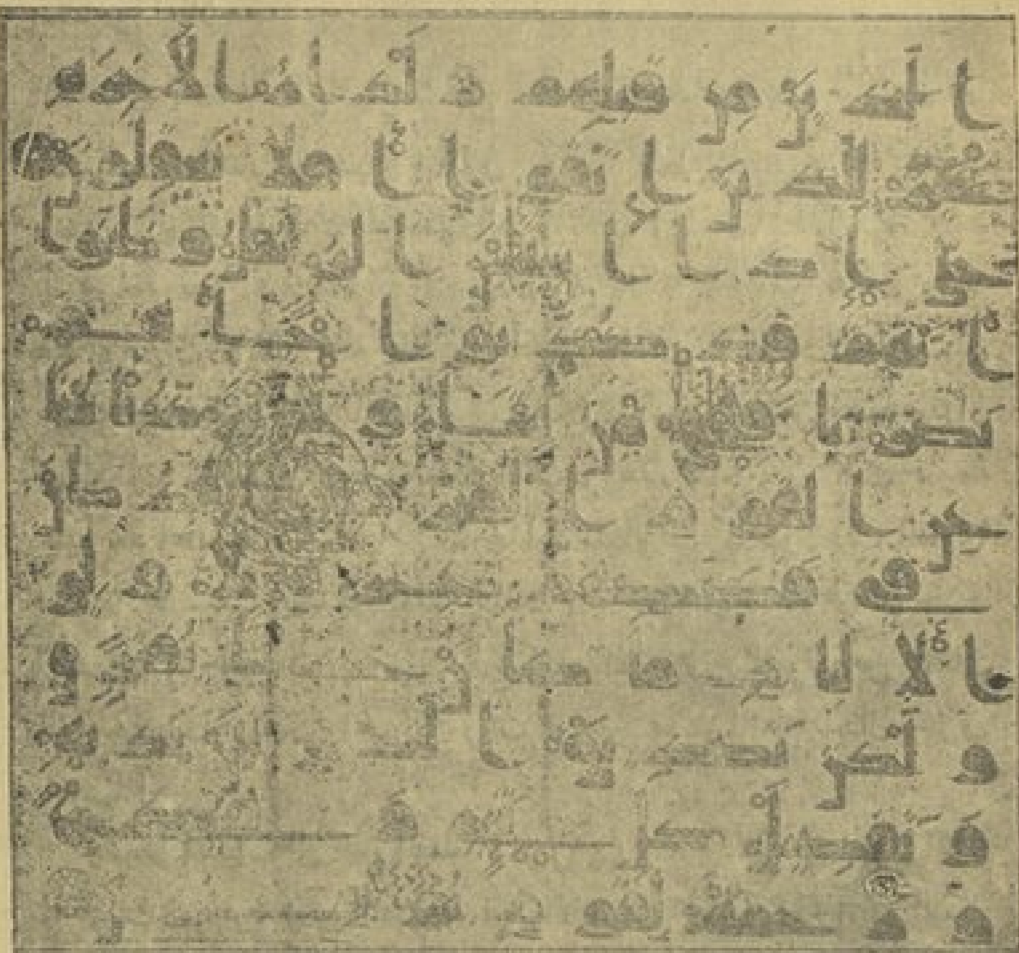
فالعرب اجتازت بقرن واحد خمس مراحل كما رأيت ، من البداوة الى الحضارة ، الى القراءة والكتابة ، الى وضع القواعد ، الى تشكيل القرآن ، الى اعجام الحرف . وانما في كل مرحلة كانوا يتأخرون من هذه الناحية شوطاً واسعاً الى الوراء ، وذلك ناشيء من خلل الحرف الذي استعملوه ولم

يستطيعوا اصلاحه .

« ابدال نقط الاعراب بالشكل الحاضر هذا في عهد المأمون »

تنافست الكتاب في عهد المأمون بتجديد الخط العربي ، كما تنافست رجالات العرب حينذاك بالفلسفة والعلم والادب ، فابدل الخليل بن احمد الفراهيدي نقط الاعراب التي وضعها الدؤلي بالشكل الحاضر هذا ، وابقى نقط الاعراب كما كانت عليه سابقاً فرقاً بينهما بالشكل لا بالمداد لاجل التسهيل على الكاتب . فصار بالمستطاع ان يكتب الكاتب بلون واحد من المداد بعد ان كان يكتب بثلاثة الوان او اربعة كما رأيت ، وهذه قضية وان كانت بسيطة جداً بعد احداثها ، غير انها كبيرة جداً بذات الوقت كما يدرك ذلك القاريء الكريم . فنضيفها ايضاً الى ادلتنا السابقة ، وحجتنا في ذلك ، هي ان حركة الاعراب في اللغة العربية كادت ان تكون كالاحرف الصوتية من اللغات الغربية ، فابدالها بشكل اخر كما رأيت ، هو عبارة عن ابدال حرف بحرف آخر .

ولينظر الاديب الى هذه القطعة شكل (١٦) وقد كتبت في القرن الثاني او الثالث للهجرة فيرى الشكل او نقط الاعراب المخالفة عما رآه في الشكل السابق ، وهي غريبة من نوعها لجمعها بين طريقة الدؤلي ذات النقط الكبيرة الحمراء ، وطريقة الخليل بن احمد الظاهرة فيه وهي الشكل الحاضر هذا كما تراه .



شكل (١٦)

«قلم الديوان يتحول الى النسخي ويكتب به القرآن في القرن الرابع»

وما استرسلت الدولة العباسية منذ عهد المعتصم وابنه الواثق الى الترف والاكثار من المماليك الذين يعدون بعشرات آلاف ، وما تشاغلوا عن ادارة الدولة الواسعة الاطراف ، الا وبدأت في اواسط القرن الثالث ظواهر استقلال الولاة والامراء في تلك الاطراف النائية ، مزيجة من عرب وعجم وغيرهم واخيراً في دور انحطاط الدولة العباسية في اوائل القرن الرابع للهجرة ، وزر ابن مقله لثلاثة من الخلفاء العباسيين وهم المقتدر ، والقاهر ، والراضي فانشأ الوزير بن مقلة هذا ، الخط النسخي الحاضر ، على اساس الخط النبطي

والكوفي وادخله في دواوين الخلافة بدلا منه . وهذا الانقلاب الكبير في القلم العربي سواء كان بالحرف او بالاعراب والاعجام لا يترك مجالا ما للاعتراض ، بل لا يترك بابا ما يدخل منه المعترضون .

« تفرع الاقلام او تغيير شكل الخطوط »

تفرع الخط العربي في اواخر الدولة الاموية واوائل الدولة العباسية الى اربعة اقلام ، اشتق بعضها من بعض كاتب اسمه قطبة ، كان يكتب لامية المصاحف وهو اول من بدء بتحوير الخط الكوفي الى النسخي . ثم اشتهر بعده الضحاك بن عجلان فزاد على قطبة ثم زاد اسحق بن حمادة وغيره ، فبلغت الاقلام العربية الى اوائل الدولة العباسية اثنا عشر قلما (١) ، وفي ايام المأمون تنافست الكتاب كثيراً في تجويد الخط ، فحدث القلم المرصع وقلم النساخ ، والرآسي ، والرقاع ، وقلم الحلية ، فزادت على العشرين وكلها تعد من الكوفي .

ثم تفرع الخط النسخي ايضاً بتوالي الايام الى فروع كثيرة كما تفرع الكوفي قبله واشتغل بتحويره كثير من الكتاب كابن البواب وابن مقلة كما رأيت وغيرهما من المجيدين وصارت الاقلام الرئيسية في اللغة العربية الكوفي والنسخي ، بعد ان كانت الحيري ، والنبطي وهي الاصل ، وصار لكل منهما فروع كثيرة .

وقد اشتهر للقلم النسخي بعد القرن السابع للهجرة ستة فروع (٢) ثم ازدادت ايضاً بعد ذلك كثيراً وقد ذكر صاحب صبح الاعشى منها ما تضيق به مثل هذه الكلمة ، نخص منها القلم المسلسل الذي كانت كل حروفه متصلة ببعضها . ومعنى تعداد كل هذه الاقلام هو انه يختص كل فرع منها في عمل او ديوان كما هي الحالة اليوم في بعضها . فقلم الطومار مثلا هذا الذي ذكره

(١) وهي : قلم الجليل ، السجلات ، الديباج ، اسطومار ، الثلاثين ، الزنبور ، المفتح ، المدمرات ، العهود ، القصص ، الحرفاج ، الحرم .

(٢) وهي الثلث ، النسخي ، التعليقي ، الريحاني ، المحقق ، الرقاع .

صاحب صبح الاعشى وهو فرع من النسخي كان يستعمل خصيصاً لتوقيع الخلفاء على التقاليد ، والكتابة به منهم الى السلاطين . وقلم الثلاثين ، كان للكتابة به عن الخلفاء الى الامراء والعمال . فانظر الى هذا التمييز والتفريق او الاكثار واحفظ ذلك جيدا ايها الاديب لتكون عونا لنا في ايجاد حرف بديد ضما الى هذه الاقلام الكثيرة . اذا لم نقل بدلا منها .

انتقال الخلافة من العرب في غفلة العرب وانتهاء التطور في الحرف

ولمحة بعد ذلك فيما يتعلق بالحرف حتى اليوم

وفي اواسط القرن الخامس للهجرة كانت طائفة من الملوك المستقلة في طول البلاد وعرضها خليطة من عرب وفرس وترك و كرد ، كما ان الخلافة اصبحت تحت سلطة الفرس تاره والترك اخرى . وقد بدأت البلاغة العربية تتلاشى في الاقلام كما تلاشت على الالسنة ، وحلت اساليب الاعاجم محل اساليب فتيان قريش ، وهكذا ويا للاسف كانت اقامة فتاة العروبة فى ضيافه الحضارة سنيناً معدودة وفارقتها بعد ذلك فراقا ابديا ولعلها بعد هذا الاصلاح ان تعود .

وعلى هذا التنازع والانقسام ما كادت تمر اواسط القرن السابع للهجرة الا وضربت الخلافة في بغداد ضربة قاضية اصابت منها الكبد بدخول ذلك السفاح التتري هولاكو عاصمة العباسيين وقضائه عليها وعلى الادب العربي حينذاك وقد انتقلت الخلافة الروحية بعد حين الى مصر . وهكذا تتابعت الغارات السياسية والدينية على هذا الشرق فتأسست دول كثيرة المدد قصيرة المدد وكانت اللغة العربية متعلقة باصحابها حيث كانوا بين صعود وهبوط الى ان استقر الامر اخيراً للعثمانيين في اوائل القرن العاشر في بلاد العرب وانتقلت الخلافة العربية الى رجل ليس من العرب .

العثمانيون

فالعثمانيون الذين قاموا على انقاض السلاجقة في الاناضول او رفعوا لواء

السيف حالياً حينذاك ، والذين جعلوا الغرب شطر وجوههم قبل ان امتدت ايديهم الى الخلافة والشرق ، وكان لهم من الملك ما ارادوا ، والذين تمادوا في اعمالهم دون نشر لواء العلم مع السيف حتى انجلوا في النهاية عما ملكت ايديهم ، كانوا ممن قضوا على اللغة العربية بقيام سلطانهم دون حياتها من جهة ولانهم من اشد المتمسكين بالقانون الديني الذي اخطأوا تأويله من جهة اخرى فالمشيخة الاسلامية التي انشأتها الاتراك لاصدار الفتوى والعمل باحكام الدين ، كثيراً ما كانت تذهب بعيداً في تفسير القرآن والحديث وتخالف روح الدين الاسلامي باحكامها وان كان ذلك عن غير قصد . ومتى علمنا بان قضاتها كانت تتصرف باحكام الدين وتفسرها حسب اجتهادها وتحكم بالغريب منها ادركنا غلوهم الغريب بالدين ، وتصورنا تأويلهم الكتاب او تمسكهم بما يخالف روحه (١)

فالدولة العثمانية القريبة العهد منا لا يختلف اثنان منا فى تأخرها العلمي لا سيما فيما يتعلق بالحرف وشكله ، وذلك لان عصرها وموقعها الجغرافي يساعدانها كثيراً على ان تكون ارقى علماً ومدنية ممن سبقها من دول العرب لانها هي الدولة الوحيدة التي عاشت كثيراً وعاصرت الطباعة منذ انتشارها بخلاف من سبقها من دول المسلمين ، ولكان باستطاعتها ان تجعل الحرف العربي هذا حرفا مطبعياً كاملا لا يتبدل شكلا ولا لفظاً في حين ان الطباعة التي انتشرت في اوربا منذ خمسة قروناً تقريباً لم يستعملها الاتراك الا منذ قرنين ونيف . ولم تشأ ان تصدر المشيخة الاسلامية الفتوى بجواز استعمالها حينذاك ، الا بعد ان اخذت دوراً كبيراً استغرق بضع سنين . ورغماً عن هذا فعوض ان تهتم الاتراك في الطباعة الحديثة التي كانت بغاية الافتقار اليها وتعزز اقلامها المعدنية لنشر المعارف فيها ، كانت بعكس ذلك منصرفة

---

(١) وقع لاحد قضاة العثمانيين في عهد السلطان مراد الاول ، بان رفض شهادة السلطان نفسه قائلا ، ان السلطان الذي لا يحضر الصلاة الجامعة لا تقبل شهادته . فانظر . فهل في الكتاب والحديث شيء من هذا ؟ او هل يجوز الكتاب ضياع الحق ؟ (فلسفة التاريخ لجميل بيهم)

الى زيادة اقلام القصب على ما فيها من اقلام فوضعت بضعة اقلام معروفة لا حاجة الى ذكرها هنا .

واخيراً

واخيراً كانت الحرب الدولية الكبرى وكانت احوال وكان انتهاء اسفر عن تغير وجه الخارطة في العالم لا سيا في هذا الشرق الذي انشقت فيه بلاد العرب عن الاتراك وانما متفرقة الى بضع دول مرغمة على امرها شأن الضعيف مع القوي في كل حين . وها هي ما زالت على سنتها القديمة في حرفها وفي كل شيء، لو لا انها انتبهت اخيراً من سباتها الطويل وباشرت بعض اعمالها كما يعلم الاديب ، وانما الضعيف الاعزل لا بدله من احداث طريق قويم ، يوسع فيه الخطى الى غاية معلومة ، ليؤمن على استقلاله بعد ان لقي من الامر ما لقي وبغير ذلك لا يأمن من التقلبات وهذا ما نتطرق اليه .

نهضة الترك الاخيرة واستبدالهم غير حرف العرب

فالترك الذين خسروا في غفلتهم الماضية ما خسروه ، والذين قلب لهم عاهلهم ظهر المجن اخيراً وارغمهم على ترك جميع تقاليدهم التي ادت بهم الى تلك النتيجة التي تعرفها ايها الاديب ، لقد كان لانقلابهم الاخير هذا دوي هائل شبيه بانفجار لما احدثه الغازي مما لا نحتاج معه الى ايضاح .

ومما احدثه ابدال حرف العرب هذا بحرف اللاتين وهي اول بادرة او اول خسارة حصلت من هذا النوع للعرب ، ولربما كانت الترك قدوة لغيرهم من مستعمليه ، ولهذا هو الامر الذي نخشاه ونحذره اذا لم يتدارك هذا الحرف اصحابه العرب سريعاً .

في حين ان العرب الذين انفصلوا عن الترك اخيراً لو قدر عليهم عدم الانفصال مثلا لكان حرفهم الحاضر هذا الذي يتعصبون له في خبر كان ، ولما خسرت العرب الترك في استعماله لو كان حرفاً قويماً سهلا ، وهذا مما سنعود اليه لا سيا وقد انتهينا من تطور الحرف في العرب كما انتهينا من كل تطورات كما رأيت .

كلمة في تطور الحرف قبل الدخول في الاصلاح

فيرى الاديب بان الحرف الذي جاء من الانباط فالارام فالفنيق ، او الذي جاء من الحيرة فاليمن فالارام كما مر ، ما زال كما كان في الفنيق من حيث تكوينه في هجائه ، رغم تطوره الكبير في شكله . وحرف القرآن بالاخص هو اقرب من هذه الناحية ناحية الهجاء الى حرف الفنيق ، من كل حرف تفرع من حرف الفنيق ، وهذا مما سيظهر بعد ان يظهر اصلاحنا الى حيز الوجود ونستطيع ان نقول بشكل جلي واضح .

فتطور الحرف في شكله ظاهر للعيان لا يحتاج الى قول ما وقد رأيت ذلك في الرسوم التي اثبتناها في هذا البيان وجلها مأخوذة عن الجامعة المصرية لكيلا يكون فيها محل للشك . وانما الحرف يحتاج الى تعليل ذلك فيه ، بعد ان اوردنا شيئاً من تاريخه كما رأيت ، وقرأت عن العرب ما تعرفه عن العرب من البلاغة والفصاحة في بداوتهم ، وبعدهم عن الصناعة في حضارتهم ، لا سيما عن الرسم والتصوير هذا الذي لم يدخل العرب بابا له ، رغم انهم ملئوا الدنيا ادبا وعلما وامتازوا في كل شيء فيها فاقول : من المعلوم بان الحضارة تسوء الى الانسان في لغته لا من حيث صيغ الكلم ، بل من حيث ضبط اللغة وذلك لان اللغة ملكة على اللسان والانسان في اختلاطه بغيره تضعف فيه هذه الملكة ، وبعكس ذلك البداوة ، فالبداوة تحسن الى الانسان في لغته لعدم الاختلاط ، وانما تسوء اليه في صناعته لانها من الاعمال التي يحتاج فيها الانسان الى الاختلاط كما ادرك الاديب ذلك من قولنا في الحضارة سابقاً .

هذا من حيث شكل الحرف قبل ان يصل الحرف الى العرب وقبل ان يتطور في العرب ، وقد رأيت ذلك ظاهراً في الرسوم التي اثبتناها في محلها . واما من حيث تقييده بالشكل وتمييزه بالاعجام وتطوره في العرب ، فهو لسببين

فالاول قد عرفته وعرفت بان العرب قد امتازوا في كل شيء قديماً الا بالرسم والتصوير وما زالوا كذلك حتى الان لا رغبة لهم فيه نسبة للغربيين هؤلاء الذين امتازوا بشكل حرفهم منذ القديم لهذا السبب .

واما السبب الثاني ، فهو لان الحركة غير الحرف من جهة ، ولان حرف العرب وصل الى العرب متصلا بخلاف حرف اللاتين هذا الذي وصل الى اللاتين منفصلا ومتصلا وبقي فيهم كذلك حتى الان . ولو رجعنا الى الحرف من حيث لفظه وتقيد صوته ، لوجدنا العرب اقرب الى الصواب من اللاتين في تقييدهم للحرف لو لا ان حرف العرب مخالف للصناعة والمطبعة ، وانه صعب في استعماله ، فهو بخلاف حرف اللاتين من هذه الناحية كما مر بالقاريء الكريم .

فالذي اريد قوله بان العرب وان قيدوا حرفهم بهذا الشكل الذي نراه ، غير انهم كانوا مرغمين على امرهم لاتصال الحرف من جهة ولان الحركة غير الحرف فهي تابعة له لا مثله ، فيجب الا تدخل في صلب الكلمة كسائر الحروف . ولربما يستغرب الاديب قولنا هذا الذي يحتاج الى اثبات فاقول له ، هذا حق وانما كل شيء في حينه وهذا مما سنصل اليه بعد ظهور مشروعنا الى حيز الوجود انشاء الله .

وانما الذي نؤاخذ عليه العرب ، هو ان اللغة العربية معربة بخلاف سائر اللغات وفصيحة تكثر فيها الحركة ايضاً بخلاف اللغات ، فبعملهم هذا الذي لم يرغب فيه فيستعمل لا اولا ولا اخيرا ، خسرت اللغة فصاحتها واعرابها بآن واحد . ولو لم يحفظ العربية القرآن الكريم ، او لو لم تهتم العرب به ، لاصابها ما اصاب سائر اللغات ، ولكانت العرب من العربية ، كالسريان من الارامية .

فالعرب يؤاخذون ، لا لانهم لم يهتموا بالحرف ، بل لانهم لم يستطيعوا تقييده وضبطه حينذاك بشكل يرغب فيه مع ما بلغت اليه العرب من العظمة والسؤدد ، والمدنية التي لم تبلغها امة ما قبلهم من الامم .

ولو اردنا تعليل ذلك من جهة ثانية ، لوجدنا العرب في صدر الاسلام وفيما بعد رغم انهم لم يعبأوا بالرسم والصناعة او ما اشبه ذلك من الاعمال التي لم يفطروا عليها ، فانهم كثيراً ما لم يأتوا عملا لم يأمر به سيد العرب ويرشدهم اليه . ولذلك ظل معظمهم امياً بعلة الحرف هذا وتأوله او سوء

تنسيقه، وصعوبة فهمه، حتى بعض الخلفاء منهم لم يحسنوه لهذا السبب.
فلا يستغرب من العرب اذا لم يحسنوا عملا لم يأته الرسول او لم يأمر به، في حين انه صلى الله عليه وسلم، ما كان ليرشدهم الى ما يعلمه، وقد اشار على بعضهم بان لا تلقحوا النخيل، ولما لم يثمر، قال انتم اخبر مني في امور دنياكم. وهذا اكبر دليل على عدم استشاره بما لم يعلم شأن المصلح الاعظم. فقد كان يترك ما لا يعرفه الى من يعرفه من المسلمين.

فسيد العرب ما كان ليرشدهم الى ما لم يعلمه من علة الحرف وهو الامي الذي لا يقرأ ويكتب، وانما حضهم على طلب العلم كثيرا حتى قال «تعلم العلم من المهد الى اللحد»، و «اطلبوا العلم ولو في الصين» وقد لحن احدهم مرة في حضرته فقال «ارشدوا اخاكم لقد ضل» فما قول الاديب بعد هذا؟

لحرف العرب هذا يتأول كثيراً، ولغة العرب كادت الا تحص. فقد جمع الخليل بن احمد في كتاب العين ما يزيد عن اثني عشر مليونا وثلاثمائة الف كلمة للعرب، فكيف تريد ان تحسنها او تنطق فصيحا اذا لم يسهل ذلك عليك؟ واما ان العرب او بعض العرب كان يقرأ العربية حينذاك، فبملكة اللغة لا اكثر، كما نقرأها نحن اليوم بتأثير العادة فينا ولكن هل ان قراءتنا صحيحة يا ترى؟ كلا.

فالدؤلي اعرب القرآن على صفحات القرآن، فكأنه ضبط قراءة القرآن وحدها وهو كل ما اراده الدؤلي، فصار ذلك سنة عنه في ضبط اللغة، ودليلك على ذلك انه استعمل النقط بدلا من الحركة وهي اضعف الاشارة الى ما يريده الانسان وكأني به رحمه الله يقول: وضعتها صيانة لكلام الله في صدر الاسلام، لا لاجل ان تحتفظوا فيها احتفاظكم بالقشور دون اللباب، فلكل عصر رجال ولكل زمن اعمال فخذوا بدلا منها لانفسكم ما يلائمكم ويلائم زمانكم، على ان تحافظوا على لغة القرآن ما استطعتم فانما وضعت لاجلها.

او ما ترى في القرآن حتى الان اختلافا في القراءة احياناً بين حرفي الياء والتاء مثلا لالتباسهما ببعضهما شكلا قبل ان يعجم الحرف وجواز تأولهما في قراءة بعض الكلمات ، وهكذا ايضاً في اعراب آي الكتاب ، لتأخر العرب في جمعه كما تعلم هـذا علاوة عن القراءات المختلفة التي اقرتها الامة . في حين ان الاصل واحد سواء كان ذلك في الحرف او الاعراب . اترى لو حصل مثل هذا في عهد الرسول او ما كان يأمر باصلاح الحرف في كل نواحيه اذا امكن ذلك كما امر بطلب العلم مثلا وهو القائل« علموا ويسروا وبشروا ولاتنفروا » الحديث ؟ فاترك الجواب في هذا الى كل نبيل اديب .

فابوا الاسود الدؤلي في عصره ذاك او محيطه ، كان عمله كبيراً يشكر عليه وانما من جاء بعده او جاءا واعجما الحرف كما رأى الاديب ، كان عليهما ان يرفقا باللغة اكثر مما عملا ، ويجهدا النفس اكثر مما اجهداها ليحسنا الى اللغة باحسانهما الصناعة ولو قليلا ، وانما هذان ايضاً ارادا ان يحسنا ولكن ما استطاعا .

وهكذا كان ايضاً في عصر المأمون عصر العلم والادب ، والفلسفة والنبوغ ، في العصر الذي تبارى الكتاب فيه وبلغوا من الاجادة وتحسين الخط مبلغاً لم يبلغه احد ممن سبقهم من حملة الاقلام . ومع هذا كل ما اتوه هو كل ما رأيته ، فهم من هذه الناحية ناحية الحرف وتقييده في حل من امرهم ، وانما العجز وحده ، هو الذي كان يحول بينهم وبين ما يشتهون .

واي دليل لنا اعظم من امتناع العرب عن الحركة منذ القديم حتى اليوم على نفرة العرب منها ؟ بل اي دليل لنا اعظم من هذا على تأخر العرب في الصناعة من هذه الناحية ، وميلهم الشديد الى ضبط لسانهم بذات الوقت مع ما كانوا يلاقونه من الصعاب في سبيلهم الى ذلك . فهذا الاهتمام الذي كان يظهر في العرب بين كل آونة واخرى ليس دليلا على تطور شكل الحرف في العرب كما تطور في الارام مثلا بل دليلا على اهتمام العرب بتقييد حرفهم حفظاً للغة ، وانما ما استطاعوا ذلك . ما

استطاعوا ان يدخلوا الحركة في صلب الكلمة ليسهل عليهم استعمالها مع المحافظة على التفريق بينها وبين الحرف لاختلافها عنه، ولهم عذرهم في ذلك وهذا ما لم تستطعه امة من الامم.

والوزير ابن مقلة كان اكثر ممن سبقه تصرفا في شكل الحرف كما رأيت ولامكنه ان يدخل الحركة في صلب الكلمة كما فعلنا نحن، مع تفريقها عن الحرف، وانما لم يقدر الله له ذلك ايضاً ولا اعتراض على مشيئته. فالانسان مقيد بزمانه في كل اعماله ايها الاديب ولهذا هو شأن التطور والارتقاء في الحياة منذ القدم.

فنرى بان القدين يعزى اليهم تطور الحرف هذا الذي انتهينا منه، سواء كان في تقييده او اعجامه او شكله، قد اجاد كل منهم عمن سبقه من المصلحين، وكل منهم معذور في عمله وقد ذكرنا اسباب ذلك وانما بعد ظهور الطباعة الى حيز الوجود لم يعد لمن لم يعمل بها، ويخدم اللغة او العلم عذر ما، لتسهيل المطبعة كل ما يبتغيه الانسان في سبيل العلم.

وانما شاء الاقدار ان تحكم الترك العرب، وان تمسك الترك بتقاليد العرب، فلا تصلح نقصاً في حرف العرب، ولم تأت عملا لم يأته العرب بين ان العرب لم يكن هنالك من مانع يمنعهم عن خدمة اللغة من هذه الناحية حينذاك، غير العجز والعصر. العجز عن تقييد حرفهم تقييداً صالحاً كما مر بك، وانما كان عجزهم هذا قبل الطباعة هذه التي لم يدركها العرب، هذه التي سهلت الاعمال على الانسان كثيراً ورأيت فوائدها في الكون جميعه. اترى لو ظهرت الطباعة هذه في عهد العرب سواء كان ذلك في فجر الاسلام ام في مسائه، اذا لم نقل في عصر المأمون عصر نقل العلوم، ااحجمت العرب عن استعمالها او ترددت؟ او انها لم تستعن بها على تقييد الحرف بدلا من الاشارة هذه؟ لا اظنك بعد ان عرفت اهتمام العرب في لغتهم ان تقول لا، لاسيما والعرب تعلم ما قاله سيد العرب «الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها التقطها»

فالاعصر الاخيرة هذه التي اجتاحتها الاتراك ، دون ان تعمل لتسهيل الحرف فيها ، لهي الاعصار التي امتاز الغرب فيها عن الشرق وسبقنا فيها شوطاً واسعاً بعد ان كنا نحن السابقون ، ولان رجعت الى التاريخ قليلا كمدقق خبير ، لتجدن النهضة الغربية الحديثة هذه ، هذه النهضة العظيمة الشاملة ، تبتدأ بابتداء الطباعة في الغرب ، ولهذه التي سهلت العلم فيه وارتك الغرب كما تراه اليوم .

وانما الان اذا اردنا الانصاف والقول الحق ، فنحن المقصرون والموآخذون على هذا الاهمال ، لا الاولون ولا من جاء بعدهم ، لاسيما وقد تبدل كل شيء وتغيرت الايام كثيراً . فهاهم الاتراك بعد انفصالهم وانفصالنا ، ما لبثوا ان غيروا احرفهم بغيرها ، وما تركوا هذا الحرف الا لتأوله وصعوبة استعماله ، على اننا نحن احوج منهم الى تقييد كلامنا كما يعلم ذلك كل من يحسن اللغة التركية رغم ان العربية لغة القرآن . فالتركية نسبة الى لغة العرب الحاضرة ، هي كنسبة العربية في عهد امية الى العامية الحاضرة الان من حيث ضبط قواعدها ، في حين اننا نحن العرب اليوم ، ما زلنا نعمل بهذا الحرف المتأول دون اي اهتمام فيه ، على ان الحرف من العلم اساسه بل حصنه والعلم من الرجل دماغه بل حياته ، لا كما يظن بعضهم بانه عمل ثنوي ، وفي البلاد ما هو الزم منه الان . فهذا غير الواقع ، بل بعيد عن الواقع كثيراً لان الحرف عمل اساسي يشيد عليه قبل البناء ، رغم انه لكل دولة رجالها ، ولكل عمل رجال . فالقيادة غير الادارة مثلا كما ان السياسة غير الصناعة والفن ، والاعمال اذا توزعت ، دلت على الدولة وادارتها وبعكس ذلك فيما اذا تأخرت او استؤثر فيها ، لا سيما ولا شيء يوجب التأخر او الاهمال الا اذا كان هنالك شيء من الاهمال .

فالحرف بلا نزاع هو سر نجاح الغرب اخيراً كما رأيت وبلاد العرب في اشد الحاجة الى اصلاحه قبل اي اصلاح فيها ، لافتقارها الشديد الى الرجال ولا كما يعرف ذلك كل منا . والامة التي تمناها ،

هي في رجالاتها لا في اقوالها ابدا ، والبلاد التي لا تكثر فيها العلماء لا تقوى على اعمالها ابداً ، ولا يكون لها ما تريده . وهذا مما يوجب اصلاح الحرف قبل اي اصلاح على الاطلاق لتدارك هذا النقص في البلاد . ولا عذر يوجب التأخير بعد اليوم لا سيما وقد قرأ الاديب ما نقوله عن هذا الاصلاح الذي نمهد اليه ، ولما يعرف عن موقف العرب وحالتهم الحاضرة ، هذه التي لا بد من كلمة فيها ايضاً تتميما للبحث وايجابا له ، لنذكر بعد ذلك ما تحتاجه العرب او ما تصبو اليه ، فابتدأ بالاولى منها اي بحالة العرب الحاضرة فاقول :

المرحلة الثالثة

حالة العرب الحاضرة وما تحتاج اليه العرب

حالة العرب الحاضرة

العرب اليوم كما لا يخفى دول كثيرة متفرقة بعد ان كانت واحدة عظيمة في الامس ، غير ان التفرق هذا لا يضيرهم ، فيما اذا وحدوا النهضة العلمية سبيل الاستقلال ، وان لم يكن هنالك من وحدة واتفاق الا فيها وحدها لكفى ، بل حالتهم هذه على ما هم عليه الان . هي خير لهم من حيث الادارة الداخلية والنهضة الحقة ، من ان يكونوا دولة واحدة كما كانوا قبلا ، ولهذه التي تمهد الى ما يصبون اليه ، اللهم اذا جدوا وثابروا ولا عذر لهم في ذلك ابدا ، وانما الذين يعذرون فهم هم الذين يأتمرون بامر مستعمريهم ، وهم القسم الاكثر عدداً والاعظم مصابا وخطبا ، على ان هؤلاء ايضاً لا يعدمون وسيلة الى ذلك والنهضة العلمية الحرة لا يقف في سبيلها حاجز ما ، ولا في العالم المتمدن من يمنع ذلك مهما اختلفت الاوضاع السياسية وتنوعت .

ولان احصينا العرب وحدهم الفيناهم يبلغون السنين مليوناً او نحوها

وهو العدد الذي لا يستهان به فيما اذا تثقف وتيقظ، وجمعته الجامعة العلمية كما تجمعه اللغة، وهذا ما عدا الذين يستعملون حرف العرب ويعدون بالمآت لا بالعشرات من الملايين. اولئك الذين تجمعنا بهم رابطة الحرف رغم اختلاف اللغة والجنسية وغيرها. ورابطة الحرف هذه هي التي نأمل ان تدعمها قبل ان تنهار انهيار اخواتها قبلا او لا يخفى ما في ذلك من الفوائد، وباغفالها من المضار.

لغة العرب او لهجتها واختلافها عن بعضها

فالعرب اليوم تجمعهم جامعة اللغة الفصحى وتربطهم رابطة الحرف، على ان لغتهم هذه، تختلف عن بعضها باختلاف الاقاليم كما يختلف الحرف ايضاً بتباعد الاقاليم نفسها. فالسوري مثلا كاد الا يفهم حديث المغربي او يقرأ خطه وذلك لبعد اللهجة من بعضها من جهة ولعدم الاتصال من جهة اخرى، فهو من هذه الناحية تجمعه اليه الجامعة القومية او الدينية اكثر مما تجمعه اليه لغة محيطه، ونستطيع ان نقول بان العرب لو لا جامعة القرآن لتباعدوا اكثر مما هم عليه الان لغة ولهجة عملا بناموس التطور، ولكان الحرق اوسع مما هو عليه الان وهذا مما لا شك فيه، وهكذا قل في سائر بلاد العرب التي تختلف عن بعضها لاختلاف الاقاليم، ولاختلاف البيئة في كل منها عن الاخر منذ القديم، وهي حالة تنذر بسوء المصير لا سيما بعد هذا التفريق السياسي الاخير.

فالعرب تختلف كثيراً عن بعضها لتباعدها، كما تختلف كثيراً فيها الخاصة عن العامة، حتى كادوا يكونون امما مختلفة في كل شيء. فاليماني مثلا هو غير السوري في لغته وثقافته، والمصري المثقف، هو غير العامي في بلده والفرق بينهما عظيم. ولان اختلفت طبقات الامم عن بعضها، غير انها لم تختلف اختلافها الكبير في العرب، هذا الاختلاف البين في كل ما نلمسه فيهم، باللهجة والقيافة والثقافة والعقيدة، وفي كل الصفات. واسباب ذلك تباعد الاقاليم واختلاف البيئة من جهة، واهمال تثقيف العامة منهم من جهة اخري. فالعربي من هذه الناحية، باشد الحاجة الى توحيد ثقافته

وجمع كلمته لكي توجد منه الامة العربية التي يعرفها التاريخ . فهو والحالة هذه يحتاج الى سير سريع جداً ، لا سير اعتيادي كما تعلم ايها الاديب .

﴿ العربي في كل نواحيه ﴾

وثروة البلاد الطبيعية التي تتوقف عليها الحياة ، هي وان اختلفت ، عن بعضها اختلافا بيناً يتفاوت عن بعضه كثيرا ، غير ان الاهمال السائد فيها كاد ان يساوي بينها لو لم تمتد الى بعضها الايدي الاجنبية وتجعل منها ذهبا ، وهي وان تفاوتت عن بعضها انتاجا او اختلفت عن بعضها ، غير انها كلها ذات خيرات وافرة لا تحتاج اصحابها الا الى العلم والايدي العاملة ، والعامل فيها مع الاسف جاهل وعينه رمداء . وصاحبه يراه ولا يهديه .

وهكذا قل في انظمتهم وقوانينهم واداراتهم لا سيما مدارسهم وفي كل منها النقص ظاهر وكلها يحتاج الى الاصلاح كانها سلسلة متصلة الحلقات .

واما العربي من حيث هو ، فهو ذكي كما عرفه التاريخ قديماً ، وعرفناه نحن حديثاً ، بعد ان درس او تثقف ، او تغرب وهاجر . فالعربي في مهجره مثلا هو خير منه في بلده او محيطه ، وهذا برهان كبير على تأخر محيطه من جهة ، وعبقرية العربي وذكائه من جهة اخرى .

فسرعان ما نراه يتحول الى مثل ما كان عليه في محيطه سواء كان مسقفاً او مهاجرا ، لتأثير المحيط عليه او الاكثرية الساحقة ، والمرء مرتبط بمحيطه كما تعلم ، والاكثرية هي المؤثرة القاهرة وحدها .

غير اننا لا نرى بعد تقلبه هذا من حال الى حال ، استحالة تغيير المحيط كله من حيث هو ، لعلمنا بان الطبائع التي نلمسها في العربي ، هي غير غريزية فيه وانما اهماله طوال السنين هو الذي انبتها فيه وكانت شوكا لاذعا في بعضهم .

﴿ اللغة والمعاهد ﴾

اما اللغة التي هي بحثنا وهدفنا في كل ما نقوله ، هي كما ذكرنا شأنها في كل عصر وزمن متعلقة باصحابها حيث مالوا ، وهي اليوم خير منها في الماضي

القريب والفضل في بعض ذلك يرجع الى المعاهد الاجنبية في اكثر بلاد العرب ، هذه المعاهد التي لا يسعنا الا شكر مؤسيسها في احياء اللغة العربية، ونشر الثقافة في بعض البلاد ، غير ان هذه المعاهد المختلفة التي ينشأ فيها رجال الغد ، لا اظنها ملائمة بعد الان اذا لم تتوحد فيها الدراسة والتربية والاخلاق والادب ، ولا اظنها فاعلة ذلك لتعذره عليها من جهة ولتقاعد اغنيائنا عن سد هذا الفراغ من جه اخرى ، وهذا مما يدعو الى التفكير وشحذ الهمم في تأسيس المعاهد الكافية للبلاد ، لا سيا الابتدائيه التي لا بد منها في نشر العلم وتعميمه .

احزاب العرب الصالحة

وهذه الاحزاب الكثيرة التي نشأت في بلاد العرب اخيراً ، هذه التي لا تعهدها العرب منذ عهد طويل ، لهي اكبر برهان على انتباه العرب بعد غفلتهم ، وهي حالة طبيعية في الامم تدل على اليقظة والانتباه ، ولهذه هي السبيل الوحيدة الى شحذ الهمم ، ليعظم العربي في دنياه ، اللهم يشترط فيها اخلاص النية في العمل ، وتوحيد الهدف والغاية المثلى ، وسواء بعدهذا ان يبتدأ الانسان بخدمة نفسه فاهله فقومه ، او ان يبتدأ بخدمة قومه فاهله فنفسه ، فيما اذا كانت الغاية واحدة لا تنقص ولا تزيد . فلا عبرة لاختلاف الانسان عن الانسان في ارائه واجتهاده ، لان ذلك طبع في الانسان ، وانما العبرة كلها في النية وحدها والاخلاص . فهذا التنازع والاختصام او الاختلاف في الاراء ، لهو الذي يحسن الى المرء في عمله وخلقه وادبه ليسود في دنياه على من يخاصمه فيها ، ولنعم اليقظة هذه وانما يشترط فيها الاخلاص خشية التدخل كما يدرك ذلك النبيل . وهناك الطامة الكبرى .

ولكن يا ترى : ارأينا مع وجود كل هذه الاحزاب في بلاد العرب حزبا واحداً منها يهتم في تعزيز لغة الضاد ؟ كلا . او في تعميم القراءة والكتابة في البلاد مثلا ؟ كلا : او يسعى في تأسيس المعاهد العلمية المفيدة؟ كلا . فهذا مما يدلنا على انها ما زالت فوضى وانهم اخطأوا المرمى مع تقديرنا لاعمالهم واحترامنا لاشخاصهم .

فنحن في حاجة الى اكثر مما يعملون ايها الاديب ، في حاجة الى العلم الصحيح ، هذا الذي يعمل اخيراً كل شيء . فقد قال سيد العرب « خيركم خيركم لاهله » وقال « قل الحق وان كان مرا » .

فكل هذه الاحزاب على اختلافها ترمي الى غاية واحدة معلومة ، ولا سبيل الى ذلك الا عن طريق واحد معلوم . فهل يخطيء الجميع المرمى ؟ او ان السيادة تأتي عن غير طريق العلم كما يظنها البعض ؟ فلتصفح عن بعض هذه الاحزاب اذا تمثلت بقول القائلة .

« اوردها سعد وسعد مشتمل * ما هكذا تورد يا سعد الابل »

﴿ اختلاف العرب في نزعاتها ﴾

من العرب من يرتأي بالغربيين ، ومنهم من يميز بين ذلك ، ومنهم من يتمسك بقديمه وهذا القسم القليل .

ولان رجعنا الى التاريخ وبحثنا فيه عن المدنية وتطورها في العالم ، لوجدنا الغرب وان اخذ اسس المدنية الاولى عن الشرق كما اخذ عنه حرفه ، وانما زاد فيها كثيراً كما تعلم قبل ان يربد وجهه وتعود الى الشرق شمسه ثانية بظهور الاسلام ، كما وانه ، وان اخذها ثانية عن العرب في نهضته الاخيرة هذه بعد ان احتك في العرب كما مر بك ، وانما هذه ايضاً غير التي كانت للعرب بعد الاسلام لما نقص منها وزاد كثيراً ، لتأثر المدنية باصحابها في كل امة تلازمها ردحا من الدهر .

فالذي اريد قوله بان العرب الان ولان احتاجوا الى الغربيين فيها ، وانما يجب ان تكون فيهم كما كانت في الغربيين بعد ان اخذوها عنهم اولا وثانياً ، او كما كانت في العرب في عهد المأمون بعد ان اخذت العرب بعضها عن الغربيين ، لا ان نتشبه بهم في كل اعمالهم ، وهذا اقل ما يقال . ولان اردنا شيئاً من هذا فليكن بالجد والنشاط والترتيب والنظام وحسب .

وانما من العدل والانصاف بل من المروءة والشمم ان يسود العلم والمدنية العالم بآن واحد وقد آن لنا ان نفعل ذلك ، بعد ان بلغ الانسان من الرقي

ما بلغه . فالضعيف او الجاهل المتأخر من الامم هو رغم انه مظلوم ومنغص في حياته ، هو ايضاً سبب كبير لتأخر المدنية شوطاً واسعاً الى الوراء ، لطمع القوي دائماً في الضعيف ، لما فطر الانسان عليه منذ القديم ، ولا بد له من عمله هذا ما عاش القوي قويا والضعيف ضعيفا .

وبعكس ذلك فيما لو كان الضعيف راقياً بقرع الحجة بالحجة ، فيقول للطامع يا هذا انا مثلك في هذه الحياة .

فكفى هذا الشرق جموده الطويل ، فانما التبعة على المتأخر فيه ، هذا الذي لا يريد النهضة مع الناهضين . ليكون عثرة في سبيلهم ، او علة توجب الاهتمام به كما يقال .

ولا اظنني في حاجة الى اكثر مما ذكرت عن موقفنا الحاضر ، وكل منا يعلم ما ينقصه وما يتحلى به .

ما تحتاج اليه العرب

﴿ او نظرة الى الامام فيما تحتاج اليه العرب ﴾

لو نظرنا نظرة بعيدة الى الامام . بعد ان نذكر الانسان في ماضيه ونبحث في حاضره ، لتجلى لنا المصير باجلى وضوح ، ولتحول اتجاه الضعيف عن تتبع اثر القوي ، بعد ان يدرك الغاية التي لا بد من الوصول اليها اخيراً فيسعى اليها توا ، ولكان خيراً له ان يفعل لو تمعن قليلا ، وانما سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

او لو نظرنا الى القوي ومعداته ، وتكافئه قوة وعلما ورقيا ، ومن ثم الى اختلافه في هذه الحياة وتفاوته عن بعضه في المبادئ والاحزاب ، للمسنا المصير الذي لا بد منه ، والسلام الذي سيعقبه اخيرا ، ولكانت معداته العظيمة هدرا ، بعد ان يحق الحق ، الا اذا جنّ الانسان جنونه وهذا مما لا يفرض .

او لو قست الماضي الى الحاضر عصراً فعصرا من حيث التطور فيه

لوجدت العصر الحاضر هذا غير ما مضى ، حتى كاد ان يكون يومه كعام، وعامه كالف ، سريع التطور كما نراه ، لاتصال الانسان ببعضه ونضوجه المتواصل ، هذا السائر به الى الكمال والموصل كل امة الى حقها .

فالسلام او المدنية الحقة لا تخالها بعيدة ايها القارئ الاديب ولا تهولنك الضوضاء والاقوال لا سيما وهذه المصبة تتم عليها ، وسيكون قولها فصلا بعد زمن غير بعيد .

فالامة الحكيمة الرشيدة ، هي التي تسعى الى الكمال تواً ، دون ان تعبأ بغيره ، وهذا مما لا نريد قوله لخروجه عن الصدد ولانه يدركه الاديب البصير كما يدرك ما نقصده ، لو لا انني اريد ان اطرق هذا الباب قبل الدخول فيما تحتاج اليه العرب .

اما ما تحتاج اليه العرب فذلك ما تضيق به مثل هذه الكلمة لا سيما وبحثنا هذا لا يتعلق الا بناحية مما تحتاج اليه العرب ، وانما اظنها الناحية الكبرى والجبهة التي يجب تعزيزها ، ولهذه هي التي اقتصر عليها فاقول :

كانت هبة وكانت كبوة ، وكانت غفلة حتى استفاقوا . ونحن الان في المرحلة الاخيرة من هذه الكلمة تاركين للتاريخ والادب ما يعرف عن اخواتها الثلاث في غابر الايام ، ومنها المفرح والمؤلم والمؤسف .

دول العرب ، وان تكن دويلات حديثة نسبة الى غيرها من الامهات و غير انها كريمة المحتد ، تستمد ايمانها من الاولين ، اولئك الذين اوفوا المدنية حقها وسنوا العدل ونهوا عن الظلم والاعتداء ، وان الشمس التي جنحت عنهم ردحا من الدهر قد ذرقرناها اليوم ، وكاني بهم قد ارسلت اليهم نورها من كبد السماء .

فالعرب تريد من دهرها ايها الاديب ، ما تريده كل امة كريمة نبيلة تصبو الى مجدها الغابر . ولان عد الامم الكبيرة المنصفون ، عدوا العرب ولا شك في الطليعة ، لعراقتهم في المدنية والتشريع منذ آلاف السنين ، وهكذا العرب اليوم تريد ان تبنى على اساس الاولين ، وانما لا ان تقف عند غاية معلومة محدودة ، لتكون ضياء للعالم في مصيره ، كما كانت ضياء له في ابتدائه

﴿ المدنية الحقة التي تحتاج اليها العرب ﴾

فالمدنية الحقة التي تحتاج اليها العرب، هي اكثر من هذه التي نتلمسها الان هي غير هذه التي جاءت عن غير مبعثها الاول . المدنية الحقة ، هي التي انبعثت من الشرق قديماً وهو الذي سيطلبها حديثاً ، والعرب هم الذين سينتصرون لها مع المناصرين ، وسيبعثونها مع الباعثين ، كما بعثت اولا وثانياً فيهم ، وهم اولى البشر بتأييدها على الاطلاق لانهم اصحابها القدماء القدماء .

ها هي بابل ، وتلك شريعة حمورابي منذ آلاف السنين ، تجلي فيها مدنية الارام جدود العرب . قبل ان تظهر هذه الشرائع الثلاث ، الشرائع التي يدين بها العالم المتمدن منذ القديم حتى اليوم ،والتي سوف يعمل بروحها اخيرا ، لانها هي التي وحدها تدعو الى السلام ، هذا السلام الذي ينتظره العالم منذ القدم .

فالعرب وان كان لا بد لها ان تجاري معاصريها بشكل تحتفظ معه في مدنيتها الحاضرة ، وانما دون ان تتقلدهم في كل شيء ، في معداتهم ومدمراتهم مثلا او في كل ما لا تجوزه المدنية الصحيحة ، لانها لا تريد استعمار العالم شان بعض المجحفين ، وانما لتذب عن حياضها وحقوقها وحسب .

فليست العرب والحالة هذه في حاجة الى اكثر من قوة تدير بها شئونها ، وانما هي في اشد الحاجة الى قتل العامية في هذه المرحلة وتعميم الثقافة . او التعليم الاجباري في الدرجة الاولى ، وان تولي وجهها شطر المعارف وتعزيزها ، قبل اي عمل تأتيه على الاطلاق ، وهذا ما تستطيعه كل دولة من العرب بلا استثناء او كل دولة تستعمل حرف العرب ، اللهم اذا اتخذت هذا الاصلاح مركباً لها بدلا من الحرف الحاضر هذا الذي يتعذر العمل به كثيرا .

الكتب العلمية التي تحتاج اليها العرب

فلو سألنا العرب يا ترى ما في خزائنكم من الكتب العلمية ، هذه الموجودة في الغرب ، هذه التي يعملون الغربيون فيها مثلا ، ماذا يكون جوابهم ؟ لا شيء منها الا الادب وبعض الفلسفة والتاريخ وما اشبه ذلك من كتب اللغة ونحوها ، وهذا مما تركه الاولون لهم لا مما اوجدته العرب اخيراً الا ما ندر . او لو سألناهم عن عصر المأمون مثلا ، او عصر من جاء بعده من ملوك الطوائف ، تلك الاعصر التي ما زال العرب يفتخرون بها ويقولون ، نحن العرب الذين وضعنا من العلم ما وضعنا ، وقد ذهلوا بانهم يسألون عن تقصيرهم من هذه الناحية .

وانهم يغضبون اسلافهم الذين بهم يفتخرون . فليت شعري اين العلماء اليوم من ضعوا منهم واين ما وضعوا ؟ بل اين الادباء من نسخوا منهم واين ما نسخوا ؟ اين التآليف العلمية هذه التي نلمس فعلها في الغرب ولا نراها في هذه النهضة التي تشرأب فيها الاعناق ؟ بماذا يقرأ من لاحظ له في اللغات الاجنبية يا ترى ؟ او اقل من هذا العمل البسيط الذي هو كل ما في الكون ؟ فبماذا ساد الغرب هذا الذي نريد التشبه به يا ترى ؟ هل في غير هذا السلاح ؟ كلا فاين هو ؟ ايلهو كلنا في السياسة وحدها ؟

فلتنصف العرب انفسها ، بل لتنصف ابناءها ، فلمثل هذا تحتاج لا لاكثر منه في الخطوة الاولى ، لا سيما في مثل موقفها هذا . العرب ايها العالم الاديب تحتاج الى الخزائن العلمية الضخمة ، تحتاج الى العلوم الحديثة المفيدة ، هذه التي كادت ان لا يكون لها منها نصيب ، تحتاج الى العلم الذي يحدث القوة لا لاكثر منه الان ، واي دولة من العرب او مستعملي حرفهم لم تستطع ذلك ، وتأتي ما اتاه اسلافهم الصالحون ، والعلم شائع كما تعلم ولا اسهل من الاخذ به ؛

خلاصة ما تحتاج اليه العرب

فدول العرب او مستعملي حرف العرب ، باشد الحاجة الى النهضة العلمية

وتعميم الدراسة الاولى وتدريب الناشئة على اكتساب العادات الحسنة لا سيا لاخلاق السامية ، وباشد الحاجة ايضاً الى مثل هذا الاصلاح تعزيزاً للغة والعلم ونشرها من جهة ، ولتجمع به العربي البعيد الى اخيه البعيد من جهة اخرى ، وهذا لا يكون الا به لسهولة مأخذه كما علمت .

فكل ما اريد قوله فيما تحتاج اليه العرب ، هو انها في حاجة الى التجدد في حياتها الجديده هذه ، وانها لجديرة بان تكون قدوة يهتدي بها بدلا من ان تهتدي بسواها ، وبقول افصح ، ان تكون القائد الاكبر الى الفضيلة والمرشد الاعظم الى الكمال في عهدها الجديد هذا ، احياء لمجدها التليد ذاك .

فلا يغرن بعضهم حرف اللاتين مثلا فيسعى الى تقليده ، بل ليسع غيره الى تقليد حرفه هذا الحديث بل الفريد من نوعه ، وبان لا يغرن بعضهم سير الغربي مثلا من حيث هو فيقتدي به ، بل ليكون هو هدى لغيره في المدنية الحقة وليهتد غيره به ، وبان يعتمد على نفسه في كل ذلك ولا يفيدنه غير الاعتماد عليها في هذه الحياة !

والخلاصة ليكن لهذا الشرق حرفه وهو حرف العرب ، كما ان للغرب حرفه وهو حرف الرومان ، لا سيا بعد ان اقرت العصبة لسان العرب واعتبرت العربية فيما كانها لغة الشرق جميعه ، هذه العربية التي يتوجب على ناطقيها تعزيزها ، وجعلها تابعة لحرفها في الانتشار لانها لغة القرآن الكريم ، ولهذا الحرف الذي اتقدم به الى القادة الكرام ، لاكبر عونا لهم في السير الى الامام نحو الفضيلة والكمال . نحو العلم والقوة الصحيحة ، بل هذه الجياد التي اعددتها لهم ، لعربية كريمة وحسبك ما تعرف عن جياد العرب .

***

هذا وقد انتهينا مما مر بنا وتجاوزنا حد الاختصار الى الاسهاب بحكم الاضطرار ، فآن لنا ان ندخل في ميزة حرفنا الحديث بعد هذا التمهيد المسهب ، وقد قرأ الاديب بعضها في خلال هذه السلسلة التي الزمنيها

الواجب خشية الاعتراض، وكأني به وقد رغب بعضهم في اصلاحنا هذا وتردد بعضهم ، وانكره بعضهم علينا او انكر بعض ما ندعيه، رغم فوائده الكبرى التي ذكرت ، ورغم ما اتينا به واثبتناه . وهذا مما لا استغربه بل اقره كما ادرك ذلك مما مر به الاديب ، لا سيما والحرف الذي نذكره له ما زال مجهولا منه .

فانا اعذر كل معترض كريم من هذه الناحية ، وانما اطلب اليه ان يعذرني في ذات الوقت ، لاختلاف كل منا عن الاخر طبعاً واجتهاداً لا يفصله بيننا غير الرأي العام ، او الاكثرية الساحقة حينما يحين ذلك ، ولتلك التي يحق لها الفصل الاخير لا سيما في قضية تتعلق فيها مات الملايين ، ويتوقف عليها السير الى الامام .

فانا بعد ان لمست الحقيقة بيدي وتثبت من تقديري بمقياسي ، لا يهولني الاعتراض مهما كثر ولا يثنيني عن القيام بما وجب ، ولا يثبط من عزيمتي ابدا ، طالما الواجب في الانسان هو الذي يدفع كلا منا اليه . وجل ما اريده الان هو ان يدنو ذلك اليوم الذي ادعى فيه لاثبات كل ما ادعيه فعلا ، واظهار هذا الحرف الى حيز الوجود ، ليكفيني مؤنة البحث والتطويل واسباب اختلاف الانسان عن الاخر في كل شيء مما مل منه الاديب ، هذا البحث الذي لا اخر له فيعرف وان كان جدا مفيدا . ولكن لا بد لي قبل ان اترك هذا التمهيد الى ميزة الاصلاح وفوائده ان اوضح سبب الاختلاف بيني وبين المعترض الكريم الذي اقدر وجوده سلفاً ، فلعله يقتنع فيما اقوله فينصفني ، او يقتنع بوجوب الاصلاح فيوافقني او يعذرني كما اعذره ، وهذا اقل ما اطلبه اليه ايجابا للواجب وقياما به ، لما يتطلبه مستعملو هذا الحرف من النهضة السريعة التي لا تكون الا عن هذا الطريق .

﴿ وجوه الاعتراض ﴾

ولما كان اعتراضه كما اعتقد ينحصر في نقاط ثلاث اذا لم يكن في

اكبر من ذلك ، اهمها انكار المعترض علينا قولنا او صحة ما ندعيه في هذه الكلمة ، قبل التثبت والاختبار كما المس ذلك في بعضهم . فاقول لهذا المعترض انلا تعجل فلا حكم قبل دليل وكل آت قريب . فقد سئل الامام علي مرة عن الفرق بين الايمان واليقين فاشار الى كفه وهو يقول : قيد كف . وقصد به مقدار ما بين السمع والبصر ، او الاذن والعين ، وما اقرب ما بينهما ايها المعترض الكريم . فعليك ان تطلب التثبت وعلي اثبات انك كل ما ادعيه . واما ان ترتاب بقولنا بعد هذا القطع والجزم او قبل الاختبار ، فاسمح لي ان اقول لك ، ان هذا لهو الظلم العظيم .

اما الثانية وهي اعتراض المعترض لئلا تضيع بهذا الحرف الحديث معرفة الحرف الحاضر الذي نستعمله وهذا حق لا ينكر ، وجوابي عليه قد يقرأه في محله بميزة هذا الحرف وفوائده .

واما الثالثة ، فلاختلاف المعترض عنا رأيا في هذا الاصلاح وهي التي توجب على كل ما اقوله الان .

ولما كان اعتراضه هذا متعلقاً بكل منا لاختلافنا في كل شيء عن بعضنا في الطبائع والعادات والاجتهاد وغير ذلك رأيت ان ابحث في الاصول المتفق فيها الانسان والفروع المختلف فيها بعضه عن بعض، ومن ثم في العادة وتأثيرها الكبير عليه كما بحثنا سابقاً في الطبائع فاقول :

﴿ اتفاق الانسان في الاصول واختلافه في الفروع ﴾

اذكر القارئ الكريم ، بان الانسان وان اختلف عن الاخر في كل شيء وانما اختلف عنه في الفروع دون الاصول ، ولم يخرج عن كونه انسان مثله يشترك كل منهما في حب الاصلاح والراحة والاطمئنان وما اشبه ذلك ، كما ينفر كل منهما من الفلبة والالم والظلم وغير ذلك من الاصول .

فالحاسة في الانسان مثلا هي واحدة فيه لا تختلف في شخص ما عن الاخر مهما اختلف الانسان عن بعضه ، وانما تختلف في الفروع دون الاصول .

فاي منا لا يريد الاصلاح من حيث هو مثلا ؟ كل منا يريد . واي منا لا يريد الشفاء من المرض والراحة مثلا ؟ كل منا . واي منا لا يريد العلم او الثروة او غير ذلك مثلا ؟ كل منا . ولهذه هي الاصول المتفق فيها الانسان على اختلافه . ولكن هل كل منا يأتي ذلك او يستطيع ان يأتي ذلك مثلا ؟ كلا . ولهذه هي الفروع التي يختلف فيها الانسان بعضه عن بعض .

فالاصول هذه متفق عليها كما تعلم ، واما ان الانسان اختلف في اتيانها فانما اختلف في اتيان فروعها لا اتيانها هي . فحب الاصلاح مثلا متفق عليه لانه اصل لا فرع كما تعلم ، وفروعه كثيرة تكاد الا تحصى ، فمنها هو الاصلاح في الادارة والنظام ، في اللوازم والاعمال ، وفي كل شيء ومنها اصلاح الحرف الذي يختلف فيه الانسان عن الانسان اختلافا كبيراً لا نهاية له .

فالمعترض الكريم لعذر ما او لسبب ما ، لم يرق له اصلاحنا هذا لا لانه لا يرغب في الاصلاح وانما لا يرغب في كل فروعه . فلعله لايريد اصلاحنا هذا للحرف ، وقد اعتاد حرفه زمناً طويلا ، وغم انه لم يرعيافيه فيصلحه مثلا ، وهذا حق وجيه لا اعتراض عليه .

بل لعله يخشى الخسائر التي تحدث بهذا الاصلاح ولا طاقة له بها مثلا ، وهذا حق لا اعتراض عليه ، بل لعله لا يعتقد بامكان اصلاحه اكثر مما هو عليه مثلا ، وهذا حق ولكل منا اجتهاده ورأيه . وانما يا ترى اذا اختلفت الاراء وقال بعضهم بوجوب هذا الاصلاح ، واظهر فوائده الكبرى كتلك التي رأيناها في اصلاح الحرف مثلا ، وكان الحرف شائعاً بين المعترض وذويه مثلا ، اليس من العدل او العقل ان يجعلا حكماً بينهما في الامر ؟

بلى فهذا كل ما يطلبه المصلح الان ولا قول الا امام الحكم وكل سائر واصل .

كم هي المرضى التي تطلب الشفاء ويمنعها الفقر او يعوزها الطبيب

او يقضي عليها الجهل ؟ كثيرة . اذاً لا يختلف الانسان عن سواه في الاصل او في طلب الاصلاح ، الا لسبب او مانع وما اكثر الامثال في ذلك ايها الاديب .

وهكذا اذا تردد المعترض الاديب الى نادي ادبي مثلا لاستماع ما يقال ، وتخلف الطبيب مثلا الى معهد طبي تشرح فيه المرض ولم يفكر بالذهاب ولا مرة الى حيث الادب ، فما لان الادب لا يطلب ، ولكن للادب رجاله كما ان للطب رجاله ، ولكل منهما رغبة وان اختلفا عن بعضهما وانما يجمعهما العلم طباً كان او ادب .

فالذي اريد قوله بان الاصلاح هذا لان جاز الاعتراض عليه فانما يجوز فيما اذا لم تثبت ما نقوله وهذا لم يتحقق ولا يكون قبل الاختبار . والاختبار هو كل ما ارغب فيه ، وانما اذا ثبت قولنا او ثبتت افضلية اصلاحنا عن الحرف الحاضر هذا ، فلا يجوز اعتباره بعد ذلك فرعا اوكاصلاح ثنوي ليختلف فيه او يعترض عليه ، وذلك لان الحرف كما يعلمه كل منا بانه باب العلم الوحيد والانسان لا يسود الا بعلمه ، فكأنه هو العلم او الذي يسهل عليك العلم ، والعلم من حيث هو لا يختلف فيه قط لانه اصل كبقية الاصول ، فلهذا لا يجوز اعتبار الاصلاح في الحرف فرعا كبقية الفروع كما ذكرنا ، ليختلف فيه ويعترض عليه وان كان هو فرعا لا اصلا ، وانما يجب ان يعتبر كفرع ممتاز او كاصل ، لانه باب العلم . ولان حصل شيء من الاعتراض على اصلاح الحرف او على هذا الاصلاح كما رأيت ، فهو تجاوز ، وخروج على العلم لا الحرف ، ومثل القائل به كمثل من يقول لا حاجة الى العلم او تسهيله مثلا ، او كالمريض الذي لا يرغب في الشفاء .

***

هذا وقد انتهينا من هذه الناحية ناحية اختلاف الانسان في الفروع دون الاصول الى العادة وتأثيرها الكبير على الانسان في كل اعماله كما الحنا عنها سابقاً ، لا لاجل ان نحتج بها المعترض ايضاً وحسب ، بل لانبه الفكرة الى تأثير اكتساب العادات الحسنة فيها وفوائدها ، وما الفرق بين اكتساب

ما سهل من العادات عما صعب منها ، كاكتساب التعلم بهذا الحرف الجديد مثلا، لسهولة فهمه نسبة الى الحرف الحاضر . فاطلب الى القادة الكرام لا سيما مرشدي الناشئة ومديري المعاهد والمدارس انتباههم الى هذه الكلمة في العادة، لتأثير العادة العظيم في حياة الانسان فاقول :

العادة

العادة في الانسان ، هي الطبيعة المتمكنة منه والمسيطرة عليه ، والعادة عرفا ، هي كل ما استقر في النفس من اثر بتكرار اي عمل يأتيه الانسان . اذاً كل ما في الانسان من طبيعة مختلفة ، كادت ان تكون عادة فيه ، فيما اذا اعتاد اتيانها وتكرارها لا اغفالها ، وهكذا كل عمل يألفه الانسان ويأتيه فهو ولا شك عادة فيه . والعادة هذه لابد لكل انسان من اتيانها سواء كانت مما فطر عليه من الطبائع ، او مما حصل له بعد ذلك ، ولهذا هي قديمة جداً في الانسان ، منذ بدء حياته وادواره الاولى قبل ان يتحضر ، وهي طبيعته الثانية ولعلها تكون الاولى على رأي بعضهم لعظيم تأثيرها في الانسان .

والعادة من حيث هي سنة من سنن الطبيعة ، حكمها في الانسان كحكمها في سائر الاحياء بل الكائنات ، وهي ذات الطبيعة الغريزية في الاحياء او الاكتسابية فيها ، لولا انها اعم منها فيها واوسع نطاقا . فالفرس الذي يجتمع الى الاخر في طبائعه مثلا هو واحد لو لا انه يختلف عن بعضه بما يعتاده من الطبائع في خلال حياته ، فالمروض من الخيل مثلا ، هو غير المهمل والربيط منها غير الطليق ، كما ان الحرون منها غير الجموح(١)

(١) للاحياء ثلاث طبائع لا بد منها تجمعها العادة فيها ، وهي الغريزية ، والاكتسابية ، وما تعتاد عليه علاوة عنهما . فالاولى كالجموح من الخيل او الحرون منها مثلا وهي الطبيعة الغريزية فيها ، والثانية كالمروض منها على الاعمال كخيل الجيش مثلا او خيل الالعاب وهي الطبيعة الاكتسابية فيها. والثالثة هي ما تعتاده في حياتها عن غير قصد ، كالفرس الطليق الذى اعتاد ان يكون كذلك او الربيط مثلا، وكل هذه الصفات تجمعها العادة هذه او تدخل في حكمها

وعليه قس سائر الاحياء بعاداتها على اختلافها حتى الكائنات، فصحيفة الورق التي تطويها لاول مرة مثلا، قد لا تحتاج الى مثل ذلك ثانية لما عودتها عليه في الاولى، ولما تركت فيها من اثر يزداد ظهوراً كلما اعيد وتكرر.

فعلى هذا كل ما في الانسان من طبيعة فطرية فيه او اكتسابية حصلت له، كان للعادة هذه تأثيرها الاعظم في تقوية هذه الطبيعة وتعزيزها في الانسان، وذلك لان من طبائع الجهاز العصبي لا سيما المراكز العليا منه كما تقول علماء النفس، قابلية لاكتساب العادات الجديدة من حيث هي، والعادات المكتسبة هذه ليست الا ممرا جديداً تطرقه المجاري العصبية فتزداد استسهالها له بتكرار مرورها فيه. فكل مجرى يلج الدماغ لا بد له حين مغادرته له من ان يترك اثراً فيه، وهذا الاثر يتفاقم بتكرار مرور المجرى فيه حيناً بعين حين، حتى يصير قوة في الدماغ الى جانب ما فيه من قوى، وتجدد الانسجة المتواصل لا يمنع تكوّن هذه الممرات، بل يساعد على ثبوتها وتأصلها وينسج عليها بذات الوقت حتى لا يعود بالمستطاع استئصال تلك العادات المكتسبة من بين تضاعيفه وتركيب انسجته وحجيراته.

فلهذا نجد بان العادة في الانسان او الاحياء مثلا، تختلف عن بعضها قوة باختلاف الاعمار فيهم. فهي اقوى من الذين يشبون عليها منها في الذين يعتادونها اخيرا، الم تر المعمرين الذين اعتادوا كثيراً مما يضرهم من الطبائع مثلا لا يستطيعون ترك ما شبوا عليه من العادات استطاعتهم ترك ما اعتادوه اخيراً في كبرهم؟

بلى فالذين اعتادوا في كبرهم اتيان الاعمال لا كالذين شبوا عليها منذ حداثتهم، وتمكنت منهم تمكنا لا ازالة له والفرق في ذلك ملموس. فيدك اليسرى في عملك مثلا، لن تكون كاليمنى ابداً مهما حاولت ذلك، ولن تتمكن منك عادة استعمالها تمكن اليمنى منك، وبعكس ذلك لو فعلت وانت صغيرا.

وكما ان كل شيء هو اسهل على الاحداث مأخذاً منه على المعمرين ، وكذلك هي العادة منهم . وذلك لخلو ادمغة الاحداث من المؤثرات الجديدة وسهولة انفعالها بما يرد عليها من المحسوسات بخلاف الشيوخ الذين يناقضونهم في ذلك والعبرة في كل ذلك للاعمار .

وعلماء النفس ، او كل من تتبع تأثير العادة من المدققين الذين ميزوا ذلك هم من جهة ثانية لا ينكرون على الانسان قوة ارادته وعظيم تأثيرها على العادة في حالتي اخذها او استأصالها . فهم وان قالوا باستحالة استأصال العادة من الانسان من جهة كما رأيت ، غير انهم لا ينكرون عليه استطاعته اهمالها انلم يكن الى استأصالها من سبيل . ولو لا ذلك لكانت العادة ضربة قاضية عليه ، ولالزمتنا السكوت بدلا من هذا الاقتراح .

ومن ثم كما ان اخذها هو اسهل على الاحداث منه على المعمرين كما رأيت ، فكذلك استأصالها منهم او اهمالها فيهم . فالاحداث الذين ينزحون من محيط الى آخر ، او الذين تأويهم المدارس وتهذبهم من المتشردين مثلا ، سرعان ما تتبدل عاداتهم بغيرها او لغاتهم باخرى ، وبعكس ذلك الشيوخ الذين يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم الا ما ندر منهم .

فالعادة في كل حالاتها شبيهة بالعدوى التي تلج الاجسام بلا استئذان ومن حيث لا يشعر بها ، او بالامراض السارية هذه التي ترغب في الاحداث ما ليس ترغبه في المعمرين وتتمكن في بعضهم ما ليس تفعله في الاخرين .

وتعريف العادة هنا من قبيل تحصيل الحاصل الذي لا طائل تحته ، واي منا لا يعرف عنها الشيء الكثير وكلنا ابناءها بلا استثناء ، لو لا انني اريد ناحية منها لها شأنها الكبير تتميا لبحثنا هذا كما وعدنا بذلك والناحية هذه التي اتطرق اليها ، هي منافع العادة ومضارها ،

وتأثيرها العظيم على الانسان ، وبيان تفاوتهما عن بعضها ، لا سيما العادة التي يشترك فيها الجمهور او المحيط ، كعادة استعمال الحرف الذي نحن فيه .

تأثير العادة على الانسان لا سيما التي يشترك فيها الجمهور

« لكل امرئ من دهره ما تعود » . حكمة لابي الطيب المتنبي لا حاجة معها الى ايضاح . فما صح في الفرد الذي تتمكن منه العادة ، صح في الجمهور ، ولا فرق في ذلك مطلقاً من حيث تأثيرها فيهما ، الا ان العادة التي يشترك فيها الجمهور او المحيط مثلا ، هي اطول حياة فيه منها في الفرد ، بل الفرق بينهما عظيم . هذا من جهة ومن جهة ثانية ، لا تزول العادة من الجمهور ، زوالها من الفرد بتأثير الارادة مثلا ، وانما تزول منه بالتطور البطيء ، الا ما شذ من ذلك كما ترى . فالفرد الذي اعتاد ان يهمل اعماله مثلا ، قد تنتهي عادته هذه بانتهاء حياته او بتخلص منها بقوة ارادته ، وهي بعكس ذلك في الجمهور او المحيط .

فالجمهور الذي يعتاد ما قبح منها مثلا ، لا يستطيع التخلص منها الا بالتطور البطيء ، او بانقلاب فجائي كبير ، تبعثه العبقرية ذات السلطة المطلقة كما يحصل مثلا في بعض الامم . فالعادة من هذه الناحية ، هي في الفرد غيرها في الجمهور ، وما خلا ذلك فهي فيهما بالسواء . وذلك لتشيع الجمهور رأيا وارتباطه ببعضه فيها ، بخلاف الفرد المستقل بها في نفسه كما هو معلوم .

اختلاف العادات

والعادات من حيث تختلف عن بعضها كثيراً و لاختلاف الانسان في اعماله ، فنها الصالحة والطالحة ، والسهلة والصعبة ، والحسنة والسيئة ، وغير ذلك كما هو معلوم . وكلها تتفاوت عن بعضها تفاوتاً مختلفاً لا يترك مجالا للريب في عظيم تأثيرها على الانسان وسلطانها الكبير عليه . ولو لا ذلك ، لتخير كل منا اسهل الاعمال مثلا ، ولفضل افيدها بدلا مما يعانيه ، لو لم

تسهل عليه عمله الذي يعتاده لدرجة تجعله لا يرغب في عمل سواه .

فالعامل الذي يكدح في معمله مثلا ، ليجدن عمله اسهل عليه من ان يأتي بدلا منه عمل الكاتب في مكتبه ، وكذلك المتسول الذي يستندي الاكف مثلا ، ليجدن عمله اسهل عليه من ان يأتي عملا سواه ، وقس على ذلك سائر العادات في اصحابها وتمكنها منهم لدرجة تجعلهم يهزؤون معها في الحياة كما نرى ذلك في المقامرين منهم .

والعادات التي يشترك فيها المحيط بكامله ، او التي يألفها كل منا في نظامه وتقاليده على اختلافها ، هي اشد سلطة علينا من سائر العادات المتفرقة الاخرى ، لارتباط الجمهور ببعضه فيها للاسباب التي ذكرت ، وهي التي نمهد اليها لعظيم تأثيرها في كيانه من جهة ثانية ، ولان بحثنا هذا ايضاً يدخل فيها لشمولها احرف الهجاء ، هذه التي يشترك فيها الجمهور منذ القديم .

وقبل ان ادخل فيها لا بد لي ان اذكر القارئ الكريم ، بان الانسان على اختلاف ما فيه من طبائع فطرية كانت او اكتسابية او خلافهما ، هو مقيد بالقوية المتمكنة فيه من هذه الطبائع ، والقوية المتمكنة فيه هذه ، هي التي يكثر اتيانها ولا عبرة في ذلك لاصلها ، ولما احمله منها كما ذكرنا .

تأثير العادات التي يشترك فيها الجمهور

فعلى هذا متى اعتبرنا الامم من حيث هي ، بعاداتها هذه وتقاليدها وهو الواقع ، ادركنا تأثير العادات فيها من تفاوتها عن بعضها في الحياة والكيان ، ولمسنا عظيم سلطان العادة في الانسان الذي تسيره ولا تخيره .

هذا الشرق ، وهذا الغرب ، ولكل منهما عاداته وتقاليده ، فالفرق بينهما ظاهر واضح ، بتأثير ما اعتاد كل منهما من الاعمال ، وان شئت قل الطبائع .

خذ من الشرق اليابان والصين ، واضرب بهما مثلا للشرقيين ، فهما من عرق واحد وامة متساوية منذ عهد قريب ، وميز الان بينهما تدرك

تأثير العادة فيهما هذه العادادات التي تبتلع الحديثة منها البالية ، او يتبلع بتأثيرها الصغير والكبير .

خذ الترك ، خذ الفرس ، خذ غيرهما من الشرقيين ، هؤلاء الذين نبهتهم الحرب الكبرى من غفلتهم ، وقس بين يومهم وامسهم ، تجد الفرق العظيم . والفارق هذا ، هو تأثير العادات الحديثة ،او الطبائع التي اكتسبوها اخيرا .

فالطبائع الحديثة هذه او العادات المكتسبة في الجمهور ، كالجد ، والعمل ، والشمم ، وحب الوطن . والاعتماد على النفس ، وما اشبه ذلك من الطبائع المجيدة ، هذه التي تبعثها العبقرية الفطرية في النفوس ، الدكتورية كما يدعونها ، لهي التي تتميز بها الامم عن بعضها ، او يتميز بها كيانها ، ولهذه هي التي تتكون منها النهضه العامة في المحيط ، بدافع التربية والتعليم وشتى الوسائل ، ويعمل بها الجمهور ويعتادها حتى تصير عادة فيه .

فالنهضة هذه وان تكن العبقرية ، او السلطة المطلقة ، او غيرهما هي التي تبعثها في الامم ، وانما تأثير العادة وحده ، هو الذي يقرها فيها ، حتى تصير النهضة طبيعة الى جانب مافي الامم من طبائع .

وكذلك الجمود والخنوع ، والجهل والكسل ، والتباغض وضعف الهمة ، وما اشبه ذلك من الطبائع المهدمة للكيان ، هذه التي يبعثها الخمول القتال في البشر ، ويتكون منها الضعف المعيب ، هي ايضاً مما يقرها تأثير العادة في النفوس ، وهي التي نراها مع الاسف في بعض نواحي هذا الشرق القديم ، وتدلنا على مكانها منه ، خلوها من النهضة هذه التي نراها في بعض نواحيه ايضاً ، لانهما ضدان لا يجتمعان في مكان واحد منذ الازل .

واذا رجعنا الى التاريخ منذ القديم حتى الان ، لوجدنا بقاء النهضة في الامم او زوالها منها ، كان على قدر تمكن الطبائع المجيدة منها ، او عدم تمكنها . ولهذا نجد معظم الدول التي تأسست سابقاً اعقبتها نهضات

اختلفت قوة وبقاء ، باختلاف تأثر اربابها بالعادات او الطبائع المختلفة فيهم ، والاطول نهضة من هذه الامم ، كانت هي التي تمكنت منها العادات الجيدة ، والعكس بالعكس .

فازدخار العادات من هذه الناحية ، واختيار ما حسن منها لتأثيرها في حياة الانسان ، وحفظ كيانه ، اشبه شيء بالسلاح من حيث مضائه وفساده ، والحازم من اعتد بامضاه وافعله ، بل التسلح بالمفيد منها ، هو اصلح من التسلح بالسلاح الذي تعرفه ، لانها هي القوة التي يعتد بها في الامم .

ولرب معترض يقول ، بان الامم في عروقها وفيما فطرت عليه من الطبائع ، واشار الى الاري في التاريخ مثلا ، او ان ما في الامم من طبائع هي فيها بتأثير الهواء او الاقليم مثلا ، او الى غير ذلك من الاقوال التي يريد بها الا يجعل تأثيراً للعادة بهذا المقدار الذي نذكره مثلا ، فنقول له ، نحن لا ننكر ما لتأثير الطبائع والهواء وغير ذلك من المؤثرات على الانسان ، وانما هذا لا ينفي من اكتساب العادات الحديثة تأثيرها العظيم ، بل يقره ، ومن العلماء من ينكر كل طبيعة لم تقرها العادة في الانسان حتى قالوا ان الانسان بعوائده وحسب .

فالنهضة هذه التي حصلت في اليابان مثلا ، هي نتيجة تأثير العادات التي حدثت في اليابان ، لا ما فطر عليه اليابانيون ، والبرهان على ذلك ، انها لم تكن اليابان كما هي اليوم سابقا . وهكذا قل في سائر الدول التي اندفعت بتأثير ، عاداتها حديثاً ، كما اندفعت سابقاً وتقلبت ادواراً مختلفة بتأثير ما كانت تعتاده من مختلف الطبائع .

والعرب في صدر الاسلام بلغت الى ما لم تبلغ اليه امة من الامم في كل ما تصبو النفوس اليه ، على ان العرب لم تكن كذلك قبل الاسلام ، ولا هي اليوم مثلها حين كانت كما نعلمها . كل هذا دليل على تأثير العادات على النفوس ، لا على ان الانسان بفطرته او بعرقه او بتأثير

الهواء عليه او الاقليم وحسب .

ولو لا ضيق المقام في هذه الكلمة المختصرة ، لاتينا بالادلة الكثيرة على تأثير العادات في حياة الانسان وكيانه ، وانما لا اظنني بحاجة الى ذلك ، والقاريء الكريم يعرف عن تأثيرها الشيء الكثير ، ولهذه التي نبهت اليها القادة الكرام واولياء الامور قبل هذا الكلام .

﴿ منافع العادة ﴾

« واذا اعتاد الفتى خوض المنايا فاهون ما يمر به الوحول »
هي ايضاً حكمة لابي الطيب المتنبي الشاعر الحكيم .

فنفع العادة ، هو تسهيلها كل ما يعتاده الانسان في حياته من الاعمال وخلافها . هذا البدوي الذي اعتاد القفار منذ القديم ، هو لو لا اعتياده ذلك لما لذ له عيشه الذي ما زال فيه حتى اليوم ، وهكذا قل في الريفي او المعتزل او قل في ابن الثلوج والرمال ، وقل في كل قانع في حياته ، والفضل في كل ذلك للعادة وحدها . فلهذا لا نرى نفعاً اعظم للانسان من العادة هذه التي تقتمه في حياته على اختلافها ، وتساوي بين الرفيع والوضيع ، وهكذا قل في كل ما يألفه الانسان من العادات في اعماله وفي كل شيء يأتيه . ولكي ندرك ذلك كله لننظر الى العامل في ابسط ما لم تأته من الاعمال مثلا ، ندرك عظيم نفعها له . فاي منا لم ينظر اليه في عمله فيستسهله ، ولكن سرعان ما يرجع عنه لدى اتيانه واخفاقه ، في حين ان المعتاد عليه مثلا ، يأتي عمله هذا دون ان يجهد فكره .

فهذه ملكة اللغة في الجاهلية حتى بعد الاسلام في عرب البادية ، هي ايضاً من منافع العادة وتأثيرها في السنة العرب . واختلاف الكسائي وسيبويه في مجلس الرشيد وتحكيم ابن البادية فيما اختلفا فيه ، شاهد كبير على تأثير العادة على اللسان حينما قال ، لساني لا

يطاوعني جوابا على ما كلف به من تعمد اللحن (١) .

وهذا علم القراءة والكتابة ، هو ايضاً من منافع العادة وتأثيرها في الانسان ولذلك تختلف القراءة فينا قوة باختلافنا ممارسة عليها ، وكذلك قراءة الاولين في صدر الاسلام قبل اعجام الحرف وتفريق احرفه المتشابهه ، هو ايضاً من منافع العادة في الانسان لقوة تأثيرها فيه ، وهكذا قل في كل ما يعتاده الانسان من الاعمال على اختلافها . فرواة العرب مثلا ، كان احدهم يروي الوف القصائد كما رأيت ذلك في حماد الراوية والاصمعي وغيرهما من مشاهير الرواة ، كل هذا من منافع العادة وتأثيرها على كل ما في الانسان من حواس بلا استثناء .

فالعادة بعد اكتسابها ، لا صعوبة معها في كل ما يعتاده الانسان من الاعمال مهما كان نوعها ، وانما كل الصعوبة في كل ما لا تعتاده من كل شيء ، ولهذا نجد اكتساب العادات الحسنة ، هو انفع عمل في الواقع للانسان ، والقادة اليقظة لا سيما مرشدو الناشئة هم من تنبهوا الى ذلك ، وسعوا الى تعميم العادات الحسنة في الناشئة عن سبيل التربية والتعليم .

فاكتساب العادات الحسنة مع الثقافة التي تريد تعميمها ، هي الوسيلة الوحيدة لها في كل ما تصبو اليه ، وبعكس ذلك قد لا تفيد الثقافة وحدها مع الطبائع والعادات السيئة في الانسان ، ولربما سببت ضرراً بدلا من نفعها .

---

(١) مر سيبويه في بغداد والكسائي يدرس ابني الرشيد الامين والمأمون فتناظرا واختلفا في كلمة « ظننت النحلة كالدنبور فاذا هو هي » وبين ابهما « هو اياها » ، واتفقا على ان يؤتي باعرابي من البادية ليفصل ما بينهما ، ولما جيء بالاعرابي وقال ما قاله سيبويه ، (اي ظننت النحلة كالدنبور فاذا هو هي) ارادوا ان يقول ما قاله الكسائي تعصباً له لقربه من مجلس الرشيد . فقال لساني لا يطاوعني وانما خيروني فاختار قول الكسائي دون ان انطق به ولما فعل خرج سيبويه غاضباً والاعرابي « قابضاً » .

ضرر العادة

ضررها هو تمكن السيئة منها في الانسان تمكناً يصعب استئصاله ، فالعادة الحسنة التي نود اكتسابها مثلا ، تلزمنا ترك ما يناقضها فينا من الطبائع قبل ان تحل محلها . فالانسان الخامل مثلا ، لا يكون نشيطاً الا اذا ترك الخمول ، وكذلك الناقص او الاعوج ، فهو لن يكون كاملا ومستقيما ، الا اذا ترك نقصه واعوجاجه ، وهكذا قل في نقيض كل عاده غير حسنة ، لانهما ضدان لا يجتمعان في جسم واحد كما ذكرنا ، وهذا هو ضررها الكبير في الانسان ، لصعوبة استئصال ما قبح منها فيه ، لا سيما الانسان الذي ضعفت ارادته عن ذلك ، او مداركه عن تمييز الحسنة من السيئة ، او الذي ضعفت همته ومروءته ، او ضعف حسه في هذه الحياة .

فعرب الجاهلية مثلا ، كانوا يئدون بناتهم ويعدون ذلك شرفا فيهم ، كما انهم كانوا يعدون تركهم لما يعبدونه من الاصنام عيباً كبيراً وذلك لتأثير العادة فيهم لدرجة جعلتهم لا يميزون بين ذلك ، وهذا من خواص تأثير العادات السيئة في الانسان ، لا سيما التي يشترك فيها الجمهور او المحيط .

ولكي نلمس ذلك ، لننظر الى بعض الذين ما زالوا يميلون الى سلطة الترك مثلا ، من ابناء هذه البلاد ، لما اعتادوا عليه من ذلك ، ويؤثرون سلطانهم على انفسهم ، على ما لقوا من ادارة الترك السابقة ، وهذا مما لا يستغربه كل منا ايضاً ، لاعتياده ان يرى مثل ذلك فيمن اعتاد حكم الغير من البشر ، غير انه في الواقع ، هو امر يستغرب جداً ، بل هو شاذ من نوعه ، لتطلب الانسان انقياده الى سواه ، ودخوله في امرة غيره ، وايثاره غيره حتى على نفسه .

كل هذا بتأثير العادات على الانسان ، تلك التي لا يشعر بها الا من بعد منها او قاوم تأثيرها ، والبرهان على ذلك ، هو اننا نستغرب كثيراً من العادات الغريبة التي لبست فينا ، بين ان الذين نستغرب فيهم ذلك ، قد لا

يشعرون بشيء من هذا ، بل يستغربون منا استغرابنا هذا ، كما هي الحالة في العالم من حيث هو كما تعلم .

غير ان العادات السيئة هذه التي تعم الجمهور او المحيط مثلا ، هي وان تكن اعظم مصابا من التي لا يشترك فيها الجمهور ، غير انها اسهل منها استئصالا ، لوجود النهضة في ولاة الامور ، اكثر منها في سائر الافراد ، اللهم مع وجود السلطة فيهم وحسن النية والتضحية .

فالادارات التي تسير على انظمة بالية مثلا . ليسهل جداً على ولاة الامور ابدال انظمتها البالية باحسن منها كما يحصل في العالم مثلا ، ولا يخفى ما في ذلك من الفرق الكبير . ولعل الله يرسل لهذه الامة او المحيط ، حكيما ذا سلطة وادارة وهمة فينجيه من بعض تقاليده التي لا تصلح بل التي كادت ان تقضي عليه .

تفاوت العادات في اكتسابها

تتفاوت العادات عن بعضها اكتسابا ، كما تتفاوت عن بعضها نفعاً او ضررا . فالعادات التي من طبعك مثلا ، هي اسهل عليك مأخذاً من العادات التي ضد طبعك او التي لا تلائمك ، وان ماسهل منها مأخذاً عليك ، لاحب اليك مما صعب منها ايضاً ، وذلك لما فطر عليه الانسان من حب الراحة في هذه الحياة ، ولانه ميال بفطرته الى كل ما لذ له فيها وطاب ، او سهل عليه وهان . وهذا هو السبب الوحيد في انتشار ما لا يفيد من الطبائع والعادات ، وتغلبها انتشاراً على ما يفيد منها رغم ما في الثانية من فضيلة وفوائد . على ان الانسان من جهة ثانية . ميال بارادته الى كل مفيد على الاطلاق ، فيما اذا سهل عليه اكتسابه .

فالذي يسهل عليه اكتساب ما يفيد من الاعمال مثلا ، كتعلم القراءة والكتابة كما يسهل عليه اكتساب ما لا يفيد منها كتعلم الالعاب وما شاكلها مثلا . فضل الاولى منها بلا ريب لفائدتها الكبرى ، لافتقار الانسان الى ما يفيده دائماً بدافع الحياة ، هذا اذا اتيح له ذلك ، وكان ما يفيده بدرجة ما

لا يفيده مأخذا وسهولة . بين ان الانسان لا يكون على شيء من هذا ، فيما اذا صعب عليه الحسن مأخذا ، بدافع طبيعته التي فطر عليها كما رأيت ذلك في محله .

خذ مثلا على ذلك ، من تعلم اعمال الحساب الاربعة ، فعمل الجمع مثلا ، لسهولة فهمه ، لتجدن الذين يحسنونه من العامة ، هم اكثر عدداً من الذين يحسنون الضرب الذي هو اصعب منه ، وكذلك الذين يحسنون الضرب مثلا ، هم اكثر عددا من الذين يحسنون القسمة منهم . وهكذا قل في كل ما صعب وهان من الاعمال ، فانك لتجدن الانسان في جميعها ميالا الى ما سهل منها وهوا كثر فيها عددا مما صعب ، وهكذا في سائر الاعمال اذا جردته من ارادته .

فالعادات تتفاوت عن بعضها انتشاراً بتفاوتها عن بعضها مأخذا ولا عبرة في انتشارها ، الا لسهولة مأخذها الذي يصبو اليه الانسان بفطرته . فالعادات او الاعمال التي تريد نشرها اوتعميمها مثلا ، سهل الطرق اليها دون ان تدعو اليها احداً ما تجدها غاصة بقاصديها مزدحمة بهم سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا . وهذه هي النظرية الوحيدة التي دفعتنا الى هذا الاصلاح ايها العربي الاديب .

***

فقد ادرك الاديب مما ذكرنا عن العادة وتأثيرها في الانسان الغرض الذي نرمي اليه من تاثيرها ، وذلك لا لان المعترض معذور على اعتراضه وحسب ، بل لان لان الاسلاف ومن سبقهم منذ القدم ، معذورون على عدم تمكنهم من اصلاح الحرف لتأثرهم باعتياده . وهذا ما اشرنا اليه في محله في تطور الاحرف في الامم ، وسبب اختفاء العلة فيها او عدم انتظامها وتنسقها

نعم وانلم تكن العادة هذه هي كل الاسباب في ذلك ، وانما كانت سبباً كبيراً كما ادرك ذلك الاديب من تأثيرها وضررها في الانسان لا سيما العادات التي يشترك فيها الجمهور ، هذه التي تكاد الا تتطور فيهم فتطول حياتها كثيراً رغم رقي اصحابها وتطورهم كما ترى ، وبقاء حرف العرب حتى الان على مثل

ما كان عليه قبل الطباعة ، لاكبر برهان على تأثير العادة المشترك فيها الجمهور لما نعرف عن افتقار العرب الى ضبط لغتهم ، اذا لم نقل الى اكثر من ذلك .

فالعادة من هذه الناحية قد عرفنا تأثيرها ، ولا حاجة الى تكرار ما ذكرنا منها ، وانما لاجل الاستفادة منها ، اذكر القارئ الكريم بمنافعها ، لا سيما تفاوتها عن بعضها اكتسابا كما مر به ، لتسهيل الطرق امامها واكتساب ما حسن منها ، ولهذا الاصلاح الذي اتقدم به ، جاء ايجابا لفطرة الانسان من هذه الناحية ، لانه وضع لهذه الغاية نفسها ، وهذا مما يدركه القادة الكرام فتسعى الى مثله ، وعسانا نوفق ثانية الى خدمة كهذه ايجابا لحالة البلاد .

خلاصة القول في العادة

فالعادة هذه يتوقف عليها الهناء والشقاء ، والسعيد السعيد من اعتاد الحسن منها ، والشقي من اعتاد عكس ذلك ، فلا معين مثلها للانسان في اعماله ، ولا شيء اصعب من تغييرها على الاطلاق اللهم مع ضعف الارادة ، ولا اظنني في حاجة الى اكثر مما ذكرته في هذه الكلمة المختصرة ، والجملة الاخيرة كافية ان يدرك منها الاديب ما نقصده ونبغيه . وجل ما اريد قوله الان بان الانسان متأثر جداً بعاداته ، والمتأثر بعاداته ، يغرب عنه الخطأ والصواب الا اذا حكم العلم والعقل ، وسلط عليها الارادة القوية ، وهذا قلّ من يفعله . فلهذا كل مطلع كريم ، لم يحكم في كل ما نقوله عقله ، ويعتمد في ذلك على علمه ، لا اراه موافقاً على هذا الاصلاح الذي ينجم عنه كل اصلاح في البلاد ، لتأثير العادة فيه . و كذلك اذا لم يعطف على قومه او وطنه مثلا ، كما يعطف على نفسه او ولده واهله ، لا اراه مجيباً لما نقوله ، ولفضل ما اعتاد عليه من الحرف بتأثير العادة فيه حتى يشاء الله .

فالانسان ايها الاديب لا يزال يفضل ما اعتاده من الحرف او سواه على ما لم يعتده منذ القدم ، الا اذا حكم العلم والعقل وميز بين الغث والسمين ، وان شئت قل بين الحق والباطل ، وقاوم سلطان العادة هذه ، بما يمكنه من

العاطفة النبيلة لقومه او محيطه .

فالنبيل النبيل ، او الغيور الحق ، هو الذي يعطف على قومه ووطنه فعلا ، فيمهد السبيل امامه نحو العلم ، لا من يتلذذ بعاداته ويدعي ذلك قولا ، والحكيم الحكيم من ميز قوله تعالى « وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

فانا لا ارى في اصلاح الحرف ما يمنعه الله ، او تنهى عنه الرسل ، او ما لا يقتضيه العلم والواجب ويقره العقل والاجتهاد ، ليعترض عليه المعترضون ، وهذا كتاب الله بين ايدينا اترى نحتفظ بروحه ام بحروفه ؟ وكفى .

***

هذا وقد انتهينا من التمهيد الى هذا الاصلاح الذي لا بد لي ان اذكر بعض ميزته وفوائده ولو ان ذلك لا يفيدنا شيئاً ما ، اذا لم يظهر العمل الى حيز الوجود . وانما اذكرها ليستدل الاديب من وصف هذا الاصلاح عن قيمته فيقدره ويعذرنا ريثما نتمكن من اجابة طلبه اذا شاء فاقول :

ميزة اصلاحنا وفوائده

وكلمة فى اللغة قبل الدخول فيهما

لقد اجمع الادباء على ان اللغة تابعة لاصحابها ، فتحيا بحياة الامة ، وتشقى بشقائها ، وهذا قول يقره الواقع ويشهد فيه التاريخ ، ولا اعتراض عليه ابدا .

ويقول المفكرون ان حياة الامة يبعثها العلم والجد ، والنهضة في كل شيء مفيد ، ولهذا الذي نسعى الى تحقيقه بمثل هذا الاصلاح ، تسهيلا لنشر العلم وتعميمه لتحيي الامة واللغة معا .

وايجابا لهذا اذكر الاديب بما قرأ عن العادة وتأثيرها العظيم ما يعرفه عن العادة ، فقد ادرك تأثيرها الكبير في كل ما ياتيه الانسان في حياته كما

ادرك ولا شك صعوبة استئصال العادة المتمكنة منه ، كاستئصال ما فسد من اللغة مثلا ، وسهولة اتيان ما يبتغيه الانسان بعد اكتسابها ، كسهولة رجوع العربي الى لغته .

فلغة العرب كما يعلم الاديب ، حفظتها البداوة واضاعتها الحضارة ، ولا تعيدها الان غير التي افسدتها ، اللهم اذا عمّ انتشار العلم . حفظتها البداوة في البادية ، حينما لم يخالط العرب غير العرب ، واضاعتها في الحضارة منذ اختلاط العرب بالعجم ، لما بالعجمة من تأثير على اللغة .

فلغة العرب اليوم منقسمة الى شطرين عامية وفصحى ، والاولى هي السائدة في العرب بتأثير العادة التي عرفها الاديب . وقلم العرب ايضاً إي حرفهم الحاضر منقسم الى نوعين مستعمل وهو هذا ، ومهجور وهو ذو الشكل او الحركة ، والاول هذا هو السائد فيهم لسهولة استعماله واختيار الانسان دائماً ما سهل عليه .

فالعرب سواء كانت في لغتها او حرفها ، لا تماثل الامم الناهضة من هذه الناحية ، ولحرفها الحاضر هذا هو السبب في ذلك ، او المحور الذي تدور عليه الاعمال . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية :

علم الاديب ان كل لغة على الاطلاق سماعية كانت اوقياسية ، او كل لهجة من لهجات الامم على الاطلاق ، لا يقرها في اصحابها غير تأثير العادة فيهم ، وبقدر تمكن العادة هذه من اصحابها يتفاوت الانسان بعضه عن بعض في احسان ما حسن من لغته ، والعكس بالعكس . فيطلب اليك المتعصبون للعربية الا تلحن اذا قرأت او كتبت او خطبت مثلا ، وهذا حق ولهم عذرهم في ذلك ، وانما هم يطلبون اليك ان تحسن ما لم تعتده ، اكثر مما اعتدت عليه ، وهذا عبثاً يحاولونه لمخالفته طبيعة الانسان مهما كنت ذكيا ، بل ظلما يحاولونه اذا لم يسهلوا الطرق اليه مهما كنت ذا ذاكرة قوية . وذلك لان ما جاء عن طريق السماع كما يعلم الاديب ، لن يعود عن غير طريق ، مهما حاول الانسان ذلك .

فاللغه سماعية كانت او قياسية ، فلا تستقيم بالقواعد كما تريد ، اذا لم تعمل

بهذه القواعد حتى تعتادها وتصير طبيعة فيك . خذ مثلا على ذلك كلمة « سمع يسمع مثلا » او بصر يبصر » او سواهما من الكلمات المألوفة او المتشابهة بعض احرفها بغيرها لفظاً ، فانك لتجدن المتعلمين حتى الاطفال ، فهم لا يضلون في تهجاتها ابداً مهما ضعفوا ، الا ما ندر منهم . فهم يفرقون بين السين والثاء في سمع مثلا ، والصاد والسين في بصر لاعتيادهم كتابتها كثيرا . في حين انهم كثيراً ما يضلون في ضبطها لغة ، بل يستحيل عليهم ذلك حتى بعض العلماء منهم ، على ان لا شبه بين الحركات كما تعلم ابداً وانما لعدم اتيانهم الحركة كالحرف في الكتابة ليعتادونها مثلها . ولهذا اكبر ما يدلك على تأثير العادة من هذه الناحية ، بل اكبر دليل على ان العادة لا تخون صاحبها ابدا . فمثل الطالبين اليك ان تحسن لغتك دون ان تمارس على فصيحها او تعتادها كثيرا ، كمثل من يطلب اليك ان تحسن لغة ما دون ان تعتاد التكلم فيها .

فليعذرني اخي المتعصب للغته وحرفه بآن واحد اذا قلت له هذا هو المستحيل . فاما ان تسمح لنا باصلاح حرفك ليسهل فتستقيم لغتك ، واما الا تطلب ايها الفاضل الاديب احياء لغتك وهذا ما لا ترضاه . وليعلم بذات الوقت انى من اشد المتعصبين لهذه اللغة اوحرفها الذي يتعصب له وانما اعمل بالمنطق لا بالذي لا يفيد . فطبيعة الانسان من هذه الناحية لا يغيرها الا الذي فطرها وحده . واما ان الحركة الحاضرة هذه تغنى عن اصلاحه باستعمالها ، فتفضل واطلب الى الناس ايها الاديب استعمالها باي اسلوب شئت ، تدرك مالا تجهله ، بل تفضل واستعملها لنفسك ايها الفاضل الكريم لتكون قدوة للناس ولكن اظنك لا تجيب . وذلك لان الاقدمين منذ العصور الطوال ، لم يلبسوها حروفهم لصعوبة فيها الا في كتب معدودة بحكم الاضطرار ، او تلبسها ابناء هذا الزمن وقد تغير كل شيء ؟

فالحركة لا بد من ادخالها في صلب الكلمة بشكل يحفظها ، ويسهل استعماله لاعتماد اللغة عليها ، وفي بقائها على ما هي عليه ، لنظل نحن على ما نحن عليه ، ولتظل الحركة عثرة في سبيل الناشئة ما زال هذا الحرف . على ان الحركة هذه التي وضعها العرب بحكم الاضطرار خارجة عن الكلمة كما سبق ورأيت

هي الزم للغة من بعض حروفها لاتفاق العرب عليها منذ القديم ، وهي كل ما في اللغة من فصاحة وجمال ، بل هي كل اللغة لالتزامها كل حرف فيها ، ولان الاعراب الذي تمسك فيه العرب ، لا يظهر الا فيها ، والاعراب هذا هو روح اللغة العربية كما يعلم الادباء . فتمسك العرب فيها واهمالها بآن واحد ، هذا مما لا افهمه ابدا . في حين ان الحركة هذه لو دخلت في صلب الكلمة كما يجب ، واعتادتها العرب في كتاباتها كما اعتادت الحرف ، لكنا بنعمة كبرى من هذه الناحية ، ولكانت العربية بحق سيدة اللغات .

فالذي اريد قوله ، بان اللغة التي لا تحيا الا بحياة الامة ، او الامة التي لا تنهض الا بالعلم كما يقول المفكرون ، يجب الا يكون حرفها صعب المأخذ قابلا للتأول ، لتأمن عليها او عليه من الحوادث في النهضات ، والا يتسرب منه اللفظ مهما دق وسال ، لتسهل علينا اللغة او يسهل التعلم ، وان تكون الحركة هذه في صلب الكلمة لانها تابعة للحرف ، لتمتلك اللغة بتأثير العادة عن طريقها الوحيد .

وهذا كل ما ينقصنا الان ونريد قوله . ولندخل في ميزة اصلاحنا ومقابلته بالحرف الحاضر بعد هذا الكلام الطويل .

اصلاحنا وميزته عن الحرف الحاضر

اذا اعتبرنا الحرف الحاضر منفصلا ومجرداً عن الحركة والضوابط فعدده معروف ، واما اذا اعتبرناه مختلفاً عن بعضه شكلا ، ما بين المنفصل والمتصل ، والطرف والمتوسط ، لزاد عن المئة كما يعلم ذلك كل منا ، وهذا العدد الوافر لا نستطيع ان نضبط به كلمة واحدة من كلام العرب .

واما اذا اردنا ضبط كلمة او كلاما مثلا ، لاحتجنا الى اربع حركات ما خلا الضوابط الخمسة المعروفة ، واذا اردنا تقييد كل حرف بحركته او ببعض الضوابط ايجابا للمطبعة ، لزاد عن نصف الالف عددا ، بل لبلغ ثلثي

الالف او اكثر من ذلك (١) ، ولرجعنا الى اكثر مما كان عليه الاقدمون حينما كانوا يستعملون المقاطع قبل الحروف الابجدية هذه كما مر بك .

ومع هذا لا نستطيع ان نخرج عن لغة العرب في كل هذه الاعداد الكثيرة . اترى الطبيب الذي يطبب عربياً مثله ، هل يستطيع ان يكتب بحرفه هذا الى عربي مثله ايضاً في طلب الدواء ؟ كلا . وهكذا في كل بلد تستعمل حرف العرب .

فالحرف الحاضر يجب اصلاحه ايجاباً للعصر الحاضر ايها النبيل احتراما لاصحابه ولغتهم ، ولمثل هذا يجب التعصب ، لا لحرف يعجز عن تكييف اللغة فيما اذا اصلح او اسس عنانه ، وقد آن لنا ان ندرك ذلك .

على ان اصلاحنا القائم على اساس هذا الحرف ، هو يقل عنه عدداً فيما اذا اعتبرت الحرف الحاضر هذا ، اربعين شكلا فقط مع حركاته وضوابطه (٢) .

فاحرفنا الحديثة هذه وان كان عددها في لغة العرب ثمانية وثلاثين حرفا فقط ، وانما يستغنى معها عن كل الحركات والضوابط المعروفة في لغة العرب ، وبزيادة احد عشر حرفا ايضا ، تكاد تكتب بها لغة الدنيا جميعها . فيكون والحالة هذه مجموعها تسعة واربعين حرفا او شكلا فقط . فحرف اللاتين مثلا هو رغم انه قاصر في لغة العرب حيث لا يستطيع الكاتب ان يكتب به

---

(١) لا نبالغ اذا قلنا نعجز عن معرفة عدد الاحرف كما هي ، فلا يعلم عددها بالتدقيق ، الا الذين يشتغلون بالطباعة ، حتى قل منهم من يعرف عددها كما يجب . وذلك لان ادخال الحركة في الطباعة يقضي ان يكون لكل حرف على اختلافه شكلا مستقلا تسهيلا للعمل ، فكأنك ضربت ما يزيد عن المئة من اشكال الحرف بالحركات وبعض الضوابط كلها او بعضها وهذا علاوة عن بعض اصطلاحات لا نعلمها .

(٢) احرف الهجاء تسعة وثلاثون حرفا كما هو معلوم وانما بزيادة التاء المربوطة والالف المقصورة والحركات الاربعة والضوابط الخمسة يكون مجموعها اربعين حرفا فقط وهذا هو الاصل كما تعلم .

بيتاً واحداً من الشعر مثلا ، ورغم انه ملتبس حتى في لغات الغربيين نسبة لهذا الحرف كما سيظهر لك ، فهو لا يقصر عن حرفنا هذا عددا ، الا بما زادت به لغة العرب عن غيرها من اللغات .

هذا هو حرفنا الحديث من حيث عدده ، واما هو من حيث شكله ، فهو متصل ، ومنفصل تسهيلا للكاتب والمطبعة ، ومجسم واعتيادي في كليهما . والمجسم هذا يقوم مقام «الماجسكول» في مختلف الاعمال ايجابا للعصر الحاضر . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، ان حرفنا الحديث هذا وان كان قائماً على اساس الحرف الحاضر ، وانما يفرق عنه بما زاد به كما رأيت وبانتظامه لتناسب حروفه حجما وعلواً مع المحافظة على الاصل والفن ، فهو كحرف اللاتين من حيث الانتظام وانما حروفه عربية خالصة ولا اشارة فيها ابدا .

﴿ ميزة اصلاحنا من حيث السرعة والضبط والسهولة في استعماله ﴾

واما من حيث سرعته او سهولة استعماله ، فاصغ لما اقوله : يبادرك العربي بقوله ، الحرف الحاضر هذا اسرع واسهل من حرف اللاتين كتابة لدى استعماله ، وان سطراً واحداً منه ، ليقابل سطرين او اكثر من حرف اللاتين ، وان الكاتب مثلا ، ليستطيع ان يكتب في صفحة واحدة ما لا يستطيعه في صفحتين بحرف اللاتين ، والى غير ذلك من البراهين من حيث السرعة والتوفير . وهذا جواب كل عربي على الاطلاق سواء كان من المتعصبين لحرف العرب او لحرف اللاتين ، وقد سهى عن بال كل منهما ، بان الحرف واحد من هذه الناحية لو راعوا الواقع او راعوا اللغة ، وان حرف اللاتين لا يقل سرعة عن حرف العرب اللهم اذا جردته من قيده المجرد منه حرف العرب فخذ كلمة كتب مثلا واجعلها بالحرف الغربي المجرد من القيد كما كان ذلك في عهد اليونان الاول لكانت Ktb بدلا من Kataba المقيدة .

وهكذا كل ما اردت قوله سواء كانت اللغة شرقية او غربية ،

وباستطاعة كل امة ان تأتي ذلك فيما اذا ارادت الخروج من تقييد اللفظ او القضاء على لغتها. ولكن هل من امة تأتي ذلك ؟ كلا . او هل العرب تاركة تقييد الحرف لتكون معها ؟ كلا .!

فانا لا ارى فرقاً بين الحرفين اذا جردا من التقييد او القيد ، بل حرف اللاتين مع تقييده ، لاسهل على المطبعة من حرف العرب الحاضر هذا الذي لا قيد له ، والدليل على ذلك سهولة استعماله في المطبعة كما يعلم ذلك العاملون فيها ، والمطبعة هي التي يعول عليها وحدها في نشر العلم كما ترى .

فالمقيد لا يقاس بغيره ايها الاديب المنصف ، وانما يقاس الشيء بمثله ، فان كان ولا بد من القياس ، فاستعمل الحركة وقس بعدها ما شئت .!

على ان اصلاحنا او حرفنا هذا ، وان يكن من هذه الناحية اقرب الى حرف اللاتين منه الى حرف العرب ،! غير انه غير ملتبس بحركته كالتباس حرف اللاتين بالحركة اي « احرف الصوت » . فلو اراد العربي ان يسرع بقلمه مثلا ، وشاء ان يهمل الحركة ، لاستطاع ذلك ، ولما التبس على القاريء شيء لميزة اصلاحنا من هذه الناحية على سائر الاحرف في العالم . فهو لا يفرق والحالة هذه سرعة عن الحرف الحاضر فيما اذا كان لا ينقصنا الا السرعة وحدها في الكتابة . على ان العرب هم بحاجة الى نشر العلم وتسهيله ، وضبط اللغة بسرعة ، لا الى السرعة التي يذكرونها ، هذه التي لا طائل تحتها كما يعلم الجميع . فالوقت الثمين هو هذا الذي نقتله بمثل هذه الاقاويل ، لا الذي تذكره وتتذرع به ايها العربي النبيل ، ومع هذا كثير هم الذين يقولون ، اشكل من الحرف ما يشكل ، واكتفي بذلك مثلا صوناً للغة واختصاراً لك ، ولهذا الاصلاح وحده هو الذي يسهل ما يطلبونه لما به من ميزة لا تدرك الا بعد الاختبار ، مهما اردنا تصويرها الى القاريء الكريم وهذا ايجابا لطبائع العرب ونزولا عند رغائبهم .

لحرفنا الحديث هذا وان كانت الغاية من وضعه تسهيل التعلم ليعم العلم او المحافظة على اللغة بذات الوقت ، وانما راعينا بالدرجة الاولى سهولة استعماله من كل نواحيه ايجابا لطبائع العرب ، كيلا نترك بابا يدخل منه المعترضون .

فهو يستعمل مقيداً ، ومطلقا ، ومتصلا ومنفصلا ، وفصيحا ، و عاميا ، وشرقياً وغربيا . وكما تريده . على انه في كل ذلك لا تلتبس العربية الفصحى بخلافها من اللغات حفظاً لها ، ولا زيادة في احرفه ولا اشارة فيها ابدا ، وسهل وسريع في كل ذلك .

سائر ميزة اصلاحنا

واما سائر ميزته ، فقد قرأ الاديب شيئاً عنها في التمهيد ، وقد يطول الكلام عنها كثيراً ، اذا اردت ان اذكر كل ما لم اذكره ، ورغماً عن هذا لو علمت ان القارئ الكريم ، يقتنع بما اقوله دون الاختبار لفعلت ، وانما لا يقتنع ، وليس الايمان كاليقين ، ولهذا اقتصر على ما ذكرته منها لهذا السبب ، واطلب الى اولياء الامور الاهتمام بهذا الاصلاح ، لتظهر لهم ميزته في مجالس يحق فيها الحق ، وهذا اسهل علينا واوضح لهم مما سنذكره و « عند الصباح يحمد القوم السرى »

فوائد اصلاحنا وكلمة قبل ذلك

تجمع الانسان فى هذه الحياة جامعات كثيرة منها الجنسية ، والقومية ، والوطنية ، واللغوية ، وغيرها ، وكل هذه الجامعات سائرة بحكم النشوء والتطور الى الامام حيث الكمال والارتقاء . وهذه الجامعات كلها او بعضها ، لا تجمعها على اختلافها الا رابطة الحرف وحدها ، رغم ان الرابطة هذه هي الوحيدة التي لا يقل تطورها نسبة الى هؤلاء الجامعات كما هي الحالة في كل حرف . على ان هذه الرابطة ايضاً ، اي رابطة الحرف ، يتوقف مصيرها على قوة الحرف وضعفه ، وسهله وصعبه ، فيحتفظ بها ما حسن حرفها كما احتفظ الغربيون بحرف اللاتين دون لغتهم مثلا ، وبعكس ذلك لا يحتفظ

بها ما صعب حرفها كما فعل الترك ولم يحتفظوا بحرف العرب .

فالتطور والارتقاء امر واقع لا شك فيه ، سنة الله في خلقه كما تعلم .
وحرف العرب الحاضر كما يعلم الاديب الخبير ، مخل وناقص وصعب المأخذ ولا بد من اصلاحه بشكل يرغب فيه . فباصلاحنا هذا له ، كاننا امنا اودعمنا هذه الناحية الكبرى ، علاوة عن منافعه الكثيرة ، ولا يخفى ما في رابطة الحرف من الفوائد التي يدو كها كل حكيم ، لا سيما الفائدة العلمية القائمة على الحرف بعد اللغة .

اما فوائده من حيث هي ، فكثيرة جداً واكثر من ان تحصى لا ذكرها ، هذا اذا اعتبرنا الحرف سبيل العلم والعلم باب الرقي ومدخله الوحيد ، فاخص منها الفائدة العلمية ، واللغوية ، والاقتصادية فاذكرها باختصار واترك ما بقي منها الى القارئ الكريم لا سيما الفائدة المدنية الكبرى .

الفائدة العلمية

اما الفائدة العلمية ، فما اشبه العلم بمكان يرغب فيه ، ويصعب الوصول اليه ، ولهذا الاصلاح هو الذي يسهل الوصول الى كل ما يرغب فيه الانسان ويعينه على كل شيء يريده .

فالدراسة الاولى اذا عمت مثلا ، كثر الراغبون في العلم ، والنبوغ في الانسان لا يظهر او لا يكثر ، الا اذا كثر المتعلمون والمتعلمات ، وهذا كل نطمح اليه .

فالحرف الحديث هذا لا يترك سبيلا لنفس ما دخلت المدرسة وخرجت منها دون ان تعرفه وتدركه ، وتقرأ كل ما تريده ، وما من بشر عاقل على الاطلاق يعجز عن تعلمه او يكون له مانع عن ذلك مهما كان معوزاً وفقيراً نظراً لسهولته وسرعة ماخذه . واي من البشر مثلا لا يستغني عن ولده شهراً واحداً او شهرين ، او سنة على فرض التقدير ليتعلم فيها مثلا ؟

رغم ان الولد المدرك لا يحتاج الى اكثر من شهر واحد في تعلم القراءة مهما ساء التعليم كما علمت .

فالفائدة الاولى التي يتطلبها مستعملو هذا الحرف ، او الغرض الاول الذي يرمون اليه وهم في هذا الحال ، هو ان يعم العلم المحيط ليرتفع مستواه . وهذا الذي يحصل اولا بهذا الاصلاح اذا عمل به .

واما الفائدة العلمية الكبرى التي نتصورها بعد ان يعم العلم وينتشر ، فما كنت لادخلها في مثل هذا المجال القصير او الكلمة المختصرة ، لا سيما وكل ما نلمسه من رقي في هذا الوجود هو مما يغنينا عن كل كلام . ولا اراني مبالغاً اذا قلت للاديب ، ان هذا الاصلاح الذي اتقدم به اليه ، لاكبر مساعد له في دنياه في كل ما يحتاجه ، فليتصوره بعد هذا الكلام كما شاء ، وليتصور الفائدة العلمية التي ينتجها .

فالذي اريد قوله في هذا الاصلاح ، او الحرف الفريد من نوعه من هذه الناحية ، هو انه يسهل نشر العلم والتعلم كثيرا ، ويقضي على الامية قضاء مبرما لا حياة لها بعده ، كما وانه يسهل كل ما يحتاج اليه العرب من النسخ او الترجمة من العلوم الحديثة ، لا سيما ما تفتقر اليه العرب في مدارسها او كلياتها من العلوم الطبيعية كالطب والكيمياء ونحوها ، هذه العلوم التي تحتاج اليها العربية او العرب .

فالعلوم الطبيعية ومنها الكيمياء مثلا ، هذه التي سيطر بها الغربيون على الشرق ، لا سهل علينا ضبط مسمياتها بهذا الحرف منه بحرف اللاتين ، بل لاسهل علينا ضبط لغات الغربيين من حيث هي بهذا الحرف ، وهذا ما لا يستطاع بالحرف الحاضر ابداً كما يعلم ذلك الاديب .

الفائدة اللغوية

واما الفائدة اللغوية التي تحصل بهذا الاصلاح ، فقد قرأ الاديب عنها الشيء الكثير ولا اظنني في حاجة الى اكثر مما قرأ اختصارا للتطويل ، الا الى اجمال ما قرأ منها فاقول :

ان الفائدة اللغوية كما يعلم الاديب لا تكون الا بانتشار اللغة ، وانتشار

اللغة لا يكون الا بتعزيزها وتسهيلها ، وبقدر انتشار اللغة تكون الفائدة منها . فاللغة العربية ، ولان انتشرت بانتشار الاسلام اولا وانما تراجعت كثيراً فيما بعد بتراجع مجد العرب ، غير انها ما زالت قابلة للانتشار كثيراً، اللهم اذا مهد لها ، وذلك لما باللغة هذه من علاقة بالدين من جهة ، وما للعربية من المكانة الادبية بما تركه الاولون .

فمستعملو هذا الحرف اذا عدوا ، لا يقلون عدداً عن ربع المليار تقريباً كما يعلم الاديب ، ومعظمهم لا يقل رغبة عن العرب في تعلم لغة العرب لغة كتابهم الكريم ، وهذا علاوة عن الدين من شأنهم ان يميلوا الى ما في خزائن اللغات من الادب .

فالذي اريد قوله بان اللغات ولان كانت لا تنتشر الا بانتشار الدولة وعظمتها كما تعلم ، وانما لغة العرب وحدها تخالفها جميعها من هذه الناحية ، لو لا انها ينقصها التسهيل والتشذيب ، لا سيما تسهيل حرفها وضبطه ، هذا الذي اوجدناه . وانما بعد هذا الاصلاح الذي قرأته ايها الاديب ، فلا بد للغة من الانتشار ، ولا بد للفصحى من الرجوع الى اصلها ، وهذا كل ما تمناه من هذه الناحية . واي فائدة اعظم من ان ترجع هذه اللغة الى رونقها بظرف غير بعيد ؟ بل اي فائدة اعظم من ان ترجع الى رونقها دون ان يشعر بها ابدا ؟ في حين اننا نأمل بعد هذا الاصلاح ان تكون الفائدة كبيرة جداً اكثر مما بلغت اليه العرب في مجدها من هذه الناحية ناحية الادب ، لميزة هذا العصر عن عصرهم كثيرا ، ولميزة هذا الحرف الذي يترحب بالفصحى ليقيمها في حضارته .

الفائدة الاقتصادية

واما الفائدة الاقتصادية او الثروة الذهبية هذه المسيطرة في الكون والحاكمة في الاعناق ، فهي حاصلة لكل فرد من الامة بهذا الاصلاح على اختلاف الطبقات فيها ، لاعتماد كل فرد منها على الاقتصاد والذهب

بلا استثناء . وذلك لا لان الانسان يوفر عليه بهذا الاصلاح وقتاً ومادة وحسب ، بل لان كل عمل يأتيه الانسان في هذه الحياة وهو عالم او يحسن القراءة مثلا ، لخير له من ان يأتيه وهو جاهل مهما امتاز في خلاف ذلك . وهذا مما يوجده هذا الاصلاح كما تعلم .

هذا من جهة ومن جهة ثانية ، ان الفائدة المادية او الاقتصادية هذه لا تقتصر على الامة وافرادها ، بل الفائدة الكبرى هي التي تعود الى خزينة الامة او الدولة هذه التي يتوقف نموها على نمو الامة وعلى كل اعمال الامة التجارية منها والزراعية وغيرها ، بل على مدنية الامة من حيث هي ورقيها في كل شيء . فالدولة او الامة من هذه الناحية ، ناحية الاقتصاد ، مما نترك البحث فيه لرجال الاقتصاد او رجال الدولة الذين يستطيعون ادراك ذلك ويقدرونه فيما اذا ارادوا تقديره .

ولاذكر ، كلمة تتعلق بالمعارف من هذه الناحية ناحية الاقتصاد ، وهي اسهل علينا من الاولى لظهورها جلياً فاقول :

لنفرض ان الدولة المصرية مثلا ، يبلغ عدد نفوسها خمسة عشر مليوناً لا اكثر ، ولنفرض ان الاطفال او الاحداث فيها ، عشرة في المئة لكانوا مليوناً ونصف المليون . وهؤلاء هم الذين يبدؤن بالالف باء اذا تعلموا وهم الذين جعل لهم هذا الاصلاح بالدرجة الاولى .

ولنفرض بان الدولة المصرية الناهضة ، عزمت ان تعمم التعليم الاجباري الابتدائي مثلا ، وخصصت لهؤلاء الاحداث مليوناً ونصف المليون من الجنيهات في كل سنة ، لكان ما تدفعه عن كل طفل في كل سنة جنيهاً واحداً فقط .

ولنفرض ان سنة واحدة لا غير كافية لكي يتعلم فيها الطفل القراءة الابتدائية بالحرف المشكل الذي تعرفه . في حين ان التعليم بالحرف الحديث هذا اي اصلاحنا ، لا يستغرق اكثر من عشر هذه المدة مهما تساهلنا في التعليم او مهما اجحفنا بحقيقة هذا الاصلاح . فعلى هذا التعديل

والقياس ، كأننا دفعنا مئة وخمسين الفاً فقط بدلا من المليون والنصف ، ووفرنا للخزينة تسعة اعشار هذا المبلغ ، اي مليوناً وثلاثماية وخمسين الفاً من الجنيهات في كل سنة . وهكذا قل في كل دولة من دول العرب ، او في كل دولة من دول هذا الشرق التي تستعمل حرف العرب ، مع مراعات النسبة في ذلك .

او لو فرضنا ان الدولة المصرية مثلا ، تدفع مبلغاً ما لقاء تعليم فئة من الاحداث ، او قل عشر الاحداث مثلا ، فبهذا الحرف الحديث اي بحرفنا هذا او اصلاحنا ، تستطيع ان تعلم بذات المبلغ كل ما فيها من الاحداث بدلا من عشرهم . فمعنى هذا الكلام ، كأن الدولة المصرية ، مثلا عممت التعليم الاجباري الابتدائي في طول البلاد وعرضها دون ان تدفع جنيهاً واحداً او درهما واحداً زيادة عما تدفعه الان . وهكذا قل ايضاً في كل دولة من دول العرب ، او مستعملي حرفهم وما احوج الجميع الى تعميم العلم ونشره .

فهذه هي الفائدة الاقتصادية الكبرى التي لا جدل فيها ايها القارئ الكريم .

فمثل هذا الحرف الحديث من حرف العرب الحاضر من هذه الناحية وحدها اي ناحية الاقتصاد ، كمثل القطار السريع او السيارة التي تجتاز الصحراء في يوم واحد بدلا من القافلة التي تجتازها في عشرة ايام ، وهذا كل ما في علم الاقتصاد من توفير سواء كان ذلك في الوقت ، او المادة علاوة عن الراحة التي يشعر بها الراكب في سفره .

فالذي اريد قوله بعد كل ما مر بالاديب ، ان هذا الاصلاح الذي اتقدم به الى القادة الكرام ، هو وان تكن الغاية منه نشر العلم حتى يعم ، اوضبط اللغة حتى تعود الفصحى ، وانما جاء ايضاً مفيداً من هذه الناحية ناحية الاقتصاد كما جاء مفيداً من تلك الناحية التي عرفها الاديب .

ولان فرضنا بان في القياس هذا شيء من الخطأ او الزلل من هذه الناحية ، او شيء من المبالغة مثلا ، كما يظن البعض ، فلنحذف نصف ما قدرناه مثلا

من التوفير ومع هذا لتجدن اصلاحنا مما يوجب الاهتمام به كثيرا ، على ان كل آت قريب ، ولسوف تجلى الحقيقة قريباً باجلى وضوح .

***

هذا وقد انهينا من ميزة هذا الاصلاح وفوائده ، كما انهينا سابقاً من الوصول اليه . فاعتقد ان الاديب الفاضل ادرك ولا شك غايتي من ايجاده بعد كل ما رأى ، كما ادرك بعض بغيتي وما ارمي اليه . ومع هذا لا بد لي من كلمة في استعماله في بداء الامر ، ليرى القارئ الكريم ، او المعترض علينا كيف نحتفظ بحرفه الحاضر هذا ، وكيف نسهل عليه وطأة هذا الاصلاح من كل نواحيه بذات الوقت . وهذا ايجابا لما وعدته به في اواخر هذا التمهيد فاقول :

كيف نحتفظ بالحرف الحاضر هذا بعد اصلاحنا

وكيف يجب ان يكون اصلاحنا

ان الغرض من هذا الاصلاح ايها الاديب مما لا تجهله ابدا ، فهو اصلاح في كل شيء بالمعنى الحقيقي لا في هذا الحرف وحسب ، فهو لا كما يظنه البعض بانه يقضي على الحرف الحاضر مثلا ، او يكبد الامة شيئاً من الخسائر المادية او الادبية او خلافهما ، بل هو بعكس ذلك كما ترى .

ان الانقلاب الذي احدثه اهل الترك من هذا النوع في دولته ، هو رغم انه كبد الخزينة التركية المبالغ الطائلة الكثيرة ، ورغم انه كبد الامة التركية ، الخسائر المادية والادبية ، هو ايضاً كانت وطأته ثقيلة على الاكثرية الساحقة من الاتراك ، في حين ان الكهول والشيوخ او الشبان من الاتراك ، هؤلاء الذين يصعب عليهم تغيير ما اعتادوا عليه ، لما لتغيير العادات من تأثير كما علمت ، قلما استفادوا من هذا الانقلاب شيئاً ، وانما استفاد الاحداث وحدهم بحكم الطبع .

فالذي اراه ان الحكمة والتؤدة في مثل هذه الاعمال الكبيرة ، توجب علينا ان يكون الانقلاب اوالتطور في الاعمال كلها طبيعياً ، لا ان يصطدم الانسان بما يخالف طبعه فيضطرب باعماله كلها ، ويحصل ما نتأباه ونحذره .

فلهذا ارى ان يكون هذا الاصلاح للاحداث الذين لم يبتدأوا بالالف باء دون غيرهم ، لا للذين عرفوا الحرف الحاضر هذا واعتادوا عليه . وذلك كيلا نشعر بوطأته المادية او المعنوية ، او الادبية ، بخلاف ما فعلت الاتراك كما تعلم .

واما في المدارس الثنوية ، او فيما خلاف المدارس الابتدائية او التمهيدية هذه ، فارى ان يكون فيها كدرس من سائر الدروس اللغوية او ما يقابلها فقط ، اي بعكس ما هو في المدارس التمهيدية هذه التي تبتدئ به وتدرس به حتى الانتهاء فكاننا والحالة هذه لم نشعر بوطأة هذا الاصلاح المادية او المعنوية ابدا .

وكان هذا الاصلاح الكبير او المفيد كما رأيت ، كدرس اعتيادي بسيط لا نشعر بوطأته من جهة ، ونحتفظ بالحرف الحاضر هذا كما رأيت من جهة اخرى .

كيف يحصل التوفير

فالاصول الجارية الان في مداوس العرب الابتدائية او الصفوف التمهيدية منها ، هو ان يبتدء الاحداث في الالف باء مشكله ، ومنها يتدرجون بالقراءة المشكلة درجة فدرجة حتى انتهاء السنة . وهكذا يتدرجون بعد ذلك حتى يحسنوا القراءة بالحرف المشكل ، ومن ثم يترفعون الى هذا الحرف الذي لا شكل فيه ، بعد ان يكونوا قد مارسوه فى خلال دراستهم وقتاً طويلا كما تعلم لما فيه من شواذ .

فنحن بدلا من الحرف المشكل هذا الذي لا يلبث ان يحول الى الحرف الذي لا شكل فيه ، نبدء بهذا الاصلاح الذي لا يتغير بغيره في سني التدريس

فيفهم بسرعة لانتظامه وسهولة مأخذه من جهة ، وتسهل معرفة الحرف الحاضر هذا بعد ذلك ، كما تسهل على المتعلم معرفة هذا الاصلاح . ومن هنا يحصل التوفير الذي نؤمله لعدم تبدله بغيره ، وسهولة مأخذه كما علمت .

اصلاحنا في سائر الاعمال وفي خارج المدارس

هذا في المدارس الابتدائية منها او الثنوية وخلافها ، واما في خارج المدارس ، فقد قرأ الاديب عن سهولة مأخذ هذا الاصلاح ما قرأه ، ومع هذا نحن لا نقول لمن اعتاد على الحرف الحاضر هذا ان يعمل به .

فالاعمال كلها باقية على ما كانت عليه ، حتى يحل هذا الاصلاح مع توالي الايام محل الحرف الحاضر هذا ، وانما من شاء من الكتاب ، كتب بهذا الحرف الحديث ومن لم يشأ بقي على حرفه ما زال كلا الحرفين متشابهين او كانهما حرف واحد .

فكاننا والحالة هذه لم نشعر بانقلاب ما يزعجنا بخلاف اي انقلاب كان ، دون ان نتكبد خسارة ما على الاطلاق في ذات الوقت .

اورأيت ايها القارئ الكريم كيف لا تشعر بهذا الاصلاح بخلاف ما يتصوره البعض ؟ ولان رأينا اعتراضاً ما بعد هذا ، فذلك لا لان هذا الاصلاح لا يصلح ، بل لان بعض المعترضين مع الاسف لا يلذ لهم الا الاعتراض .

يقولون لك هاك الانكليز مثلا ، وهاك حرفهم الصعب . فهم لا يسقونه كما نفعل احتفاظاً بما لديهم ، او ما نقتدي نحن ، بالانكليز مثلا ؟ ام اننا نمتاز عن الانكليز لنفعل ؟

وما اشبه من يقول لك هذا ، بمن يريد ان يقتدي بك ، وبينكما المدى الواسع الشاسع . او العرب كالانكليز يا ترى لتمشي الهوينا الى الامام ؟

او الفقير كالغني لينفق عن سعة من ماله ؟ او العربي الى الآن يكون اماما او مقداما بعد ان بلغ ما بلغ اليه ، ولهذا الذي احتار فيه ابدا ايها العربي النبيل .

بقاء الحرف الحاضر

فالذي اريد قوله في صيانة الحرف الحاضر هذا اي حرف العرب ، هو وان يكن حرفنا الحديث او اصلاحنا قائماً على اساسه ومشابها به كثيرا ، هو ايضاً يجعل كدرس من سائر الدروس في المعاهد كما رأيت ، لنحتفظ بما لدينا من اثر الاولين مع توالي السنين من جهة ، ولكيلا يفرق شيء على المعتادين عليه بادخال هذا الاصلاح من جهة اخرى ، وهذا كل ما يحتاجه المعترض الذي يحجنا بعد كل ما رأيت .

***

خاتمة وطلب وخلاصة

هذا وقد آن لنا اخيراً ان ندخل في الختام بعد هذا الاسهاب والتطويل لنقول كلمة للقارئ الكريم ، فيما اذا خالج بعضهم شيء من الشك مما ذكرناه دفعاً للريب من جهة وايجابا للمصلحة العامة من جهة اخرى فاقول :

قال سيد العرب « انما الصبر عند الصدمة الاولى » وقال « علو الهمة من الايمان » ولتجدني انشاء الله ايها القارئ الكريم من الصابرين والموآمنين بالنجاح .

فاول طلب مني اليك ، هو التثبت مما قلته او قطعته قبل كل كلام ، والمنصف منا ، من لبى واجاب ، لا من جادل قبل الاختبار .

فاذا قلنا للناس ، هذا هو اصلاحنا يا قوم ، فادفعوا الينا اولادكم عربا كانوا او عجما ، لنعيدهم اليكم يقرأون في ظرف لا يتجاوز نصف الشهر فماذا نكون ؟ او ماذا تقول يا ترى ؟ . واما كيف ذلك ؟ فهذا من شأني ، ولربما كانت لي خطة اقطع من السيف ، واسهل عليك من شرب الماء .

فانا لا اطلب جزاء على عملي ولا شكورا ، لاحتاج الى المبالغة مثلا ، في

عمل قمت به ، ولان قمت بعمل كهذا ، فبدافع الواجب وحده كما يدرك ذلك النبيل ، وجل ما اطلبه الان الى اولياء الامور ، هو اهتمامهم بهذا الاصلاح الذي اتقدم به للتثبت منه وتحقيقه بعد ذلك ، وهذا مما لا يكلفهم شيئاً .

اما شكل هذا الاصلاح اي حروفه التي يجب التثبت منها من كل وجوهها قبل الاقدام اوالجواب على كلمتي فهي موجودة لدي ، واحتفظ بها لحين الطلب اذا شاءت القادة ذلك ، وانما ما كنت لا سعى الى تفكك هذه الرابطة بعد ان قرأت كلمتي ايها الفاضل فاظهرها قبل ان تتفق الكلمة عليها او على بحثها واختبارها ، واظنك لتعذرني ولا تكلفني الى شيء من هذا ، قبل تشكيل لجنة فيها اللغوي والفنان ، والمدرس والخبير بالطباعة ، لاختبارها من كل نواحيها . او لا تكلفني الى شيء من هذا قبل التفاهم والاتفاق وهذا اقل ما يكون . وانا لا اطلب اليك شيئاً ما لقاء عملي ابدا ، الا الاهتمام ، فالتثبت فالعمل متى حق الحق ، وحفظ هذا الحق الادبي فقط .

فالذي اريد قوله اخيراً ، هو انني اوجه ندائي هذا الى كل مفكر غيور من قادة الامة وادبائها ، لا سيما شبابها الذين نبني عليهم كل الامال الجسام ، وامد يدي الى كل مخلص لهذا الوطن في هذا المشروع الخطير ، وانتظر صدى تأثيره في طول البلاد وعرضها لاجيب على كل جواب يرد الي بالشكل الذي استطيعه او يعينه المرسل ، ولربما يتطور كل رأي او كل اتجاه في العمل بهذا الاصلاح ايجابا للمصلحة العامة التي نسعى اليها قبل كل شيء .

وانما الذي امله بل اتمناه ، ان تهتم الحكومات اولا من التثبت مما ندعيه ، او ان يطلب اليها شعوبها لا سيما نوابها الكرام هذا الطلب الحق ، لجلاء الحقيقة التي ندعيها في هذا البيان هذه التي هي كل ما تصبو اليها الامم في هذا الشرق ، وذلك حفظاً لرابطة هذا الحرف التي يدركها كل حكيم خبير .!

واني لاتمنى ايضاً ، لو تعير هذه الفكرة اولياء الامور اهتمامها كما يجب فتتفق بعد المخابرة على انتخاب لجنة كبيرة مشكلة من كل دولة تستعمل هذا

الحرف ، ومفوضة من قبلها لبحث هذا الاصلاح الكبير من كل نواحيه والتثبت من كل ما ندعيه فيه ، وهذا اضمن لكل منها ، واظهر للحقيقة، واقرب مجالا للعمل ، واذا لم يكن ذلك فلا اقل من ان تتفق عليه دول العرب جميعها ، وما احراها بهذا لانها صاحبة هذا الحرف او الحق بالدرجة الاولى وهذا كل ما اريد قوله الان ايها الوطني الغيور .

الخلاصة

والكلمة الاخيرة التي اعتذر بها عن طول هذا الكلام ، او الخلاصة التي لا بد من قولها ايجابا لفصل الخطاب هي :

ما ذكرت الحرف منذ تكونه ، وذكرت ادواره التي تقلب فيها ، الا لابين اصله للذين يدافعون عن اصلاحه ، فلعلهم هؤلاء على اصلاحه يقدمون .

وما ذكرت الاولين خاصة من واضعيه ، الا لاذكر الذين بهم ميل الى اتخاذ غيره بدلا منه ، ولا يذكرون اسلافهم فيصلحونه ، فلعلهم ايضاً هؤلاء عن رأيهم يرجعون .

وماذكرت العرب وتطوره فيهم . واجهادهم الانفس لضبط اللغة الفصحى به ، الا لاذكر الذين خرجوا على سنتهم باهماله ، فلعل العرب ايضاً باجدادهم يقتدون .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية .

ما ذكرت تفرعه وتطوره ، بتفرع اللغات وتطورها ، الا لاذكر مستعمليه ، بوجوب اصلاحه اختشاء عليه من ذلك ، وعلى العربية ايضاً من التفرع ، لا سيما بعد هذا الانقسام السياسي الكبير ، وليس لنا في ذلك شاهد ادل من التاريخ الذي اوردناه « فذكر ان نفعت الذكرى »

على ان هذا لا يلزمني كل هذه السلسلة التي ضمت حلقاتها معظم الشرقيين والغربيين ، ولا يلزمني ذكر العرب خاصة باسباب تجاوزهم الى ما يطلبونه ، ولا ذكر الطبائع واختلافها ، والعادات وتأثيرها ، والامم

ومصيرها ، لو لا انني اريد ان احس العرب على هذا الاصلاح الخطير ، بل واحس الشرق على النهضة والوآم ، فاما سلباً بعد هذا واما قبولا ، والى الله بعد ذلك ترجع الامور .

الكورة لبنان في محرم سنة ١٣٥٧ هـ الموافق آذار سنه ١٩٣٨ م

المخابرة في طرابلس الشام ص . ب ٢٥٠ عبد الله هدى الايوبي

﴿ بعد انتهاء الطبع ﴾

كثرة الاغلاط المطبعية او التصحيف في هذه الرسالة ، جاء ايضاً كدليل على سوء هذا الحرف من كل نواحيه ، رغم الاعتناء الكبير والاهتمام . ولما لم يعد بالمستطاع التنبيه الى كل الاغلاط ، اقتصرت على تصحيح بعضها او اهمها وتركت ما بقي لمعرفة القارئ الكريم وخير الناس من انصف واعذر

ص	سطر	خطأ	صواب
٣	١١	نعم هذا النصير،	هذا نعم النصير
٨	٢٢	ويقادها	ويعتادهـا
٩	٢٥	لمصلحة	للمصلحة
١٩	٥	في سائر	وفي سائر
٣٢	٧	الفقه	لفقه
٣٣	٢	هذا الذي بلا،	هذا الذي مازال بلا
٣٥	٥	بعد ان قضى،	ومن ثم قضى
〃	٦	للعلايين	للعلاميين
٤١	١	الالفاظ	الانباط
٤٤	٢٣	من الشرق	من الرقي
٤٧	٥	الحطارة	الحضارة
٤٨	٢٣	الا في	لا في
٥٣	٢	قبل	قيل
〃	٨	بيتاً	حربا ليت
٦٢	٢٤	الحويين	النحويين
٤٤	١	في واضعها	من واضعها
〃	٢	سياسية	اساسية
٦٧	٦	السهيل	التسهيل

ص	سطر	خطأ	صواب
٦٩	١٤	تحويره	تجويده
٧٠	١٠	تخت	تحت
〃	٢٢	او رفعوا	ورفعوا
٧٤	١١	يستقرب	يستغرب
٧٨	٢٦	ولا كما	كما
٨٠	٥	اولا	ولا
٨٣	١٠	يرتأي	يقتدي
٨٥	١٣	ولهذه	وهذه
٩٠	٣	انلا تعجل	لا تعجل
〃	٦	وعلى أثبت ان لك ،	وعلي ان أثبت لك
٩٣	١٥	هي	هي ، هي سنة
٩٤	١٨	اقوى من الذين	اقوى في الذين
٩٥	٢	منهم	فيهم
٩٨	١٠	الدكتورية	اوالدكتورية
〃	١٨	الحمول	الخمول
١١٦	١٠	بانتشار	بسيادة
١٢٥	٤	الكورة لبنان،	الكورة «لبنان»
		المخابرة في طرابلس	المخابرة - طرابلس